جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان :

الاغتراب في رواية " حتى العصافير هاجرت" لهاجر ميموني (مقاربة موضوعاتية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

نهاد زمالي
وداد روابحية

تحت إشراف الدكتورة
نسيمة زمالي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
		رئيسا
نسيمة زمالي	أستاذة محاضرة .أ	مشرفا ومقررا
		عضوا ممتحنا

السّنة الجامعية: 2020/ 2021

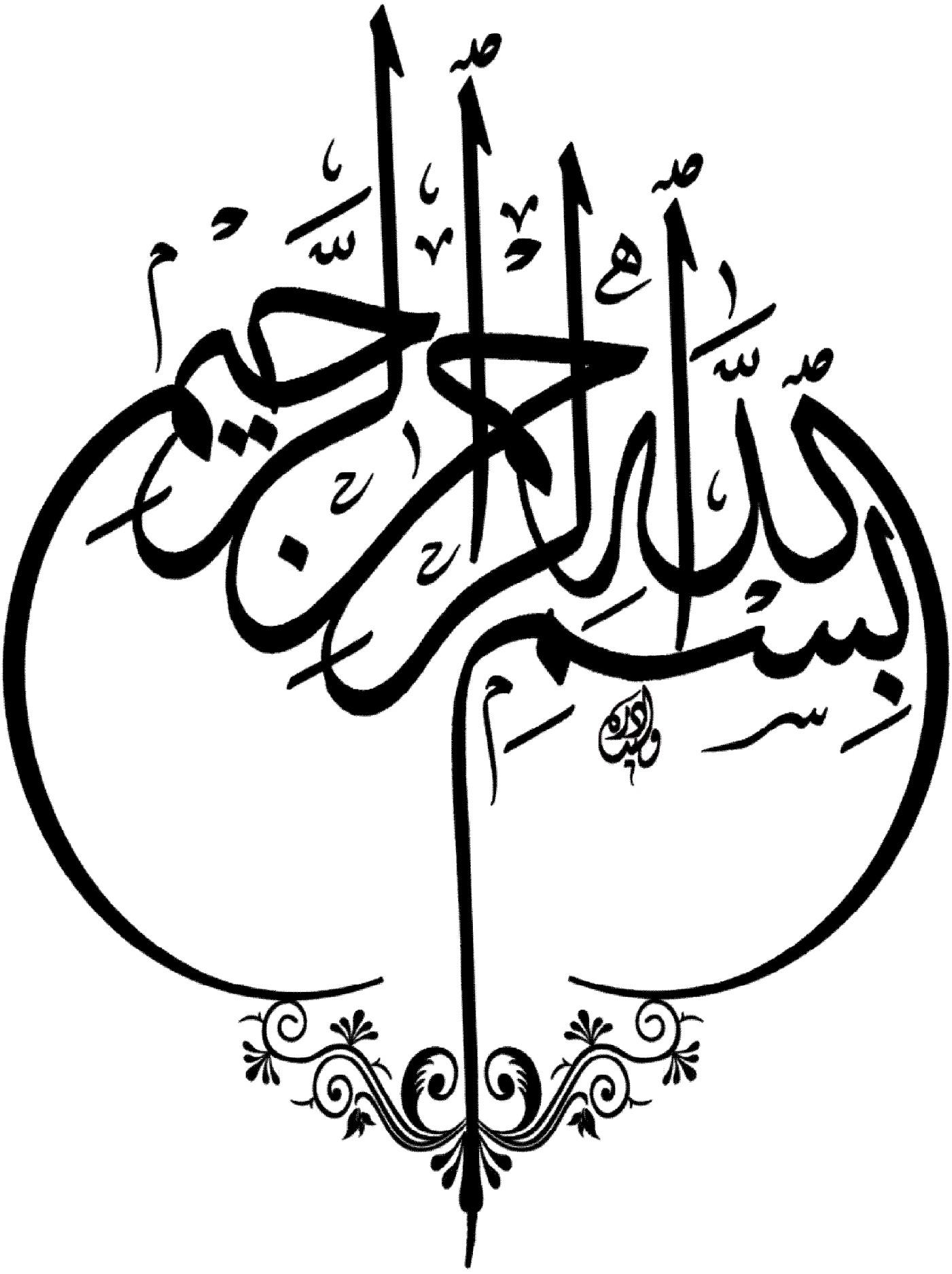
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

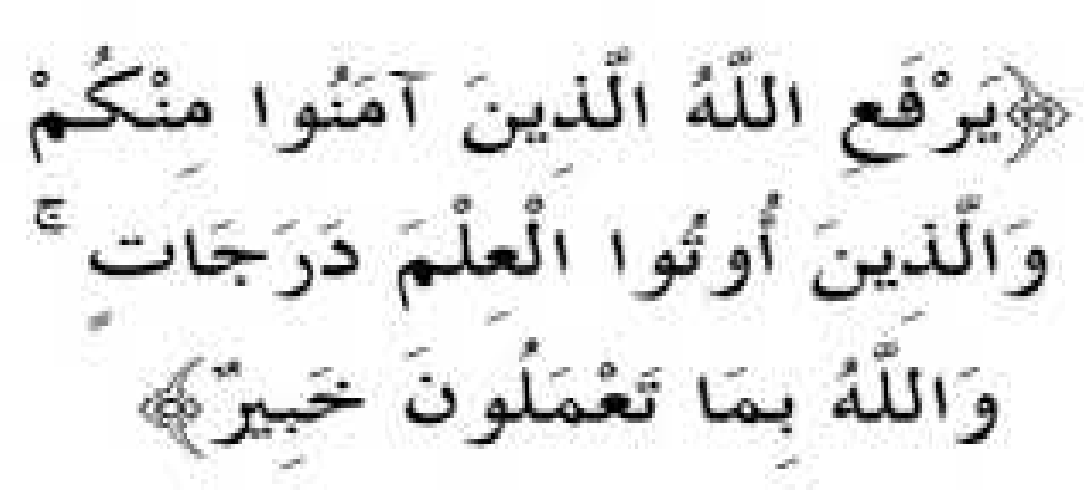
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة :11

صدق الله العظيم

شكـر وعرفـان

الحمد لله رب العالمين و الشكر له عز و جل عدد خلقه و رضا نفسه

و زنة عرشه و مداد كلماته، لك ربي الشكر و الحمد على عونك في إتمام هذا العمل

و الصلاة و التسليم على أفضل الخلق رسولنا الكريم

وحبيبنا محمد صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه الكرام .

إلى تلك الشموع التي تحرق نفسها لتضيء درب الآخرين،

إلى الذين يبنون النفوس و ينشئون العقول، إلى كل الأساتذة.

و نخص بالذكر الأستاذة الكريمة و المشرفة **"نسيمة زمالي "**

شكرا عميقا و امتنانا عظيما على إعانتنا بالملحوظات القيمة

وتسديد خطواتنا، جزاك الله خير الجزاء.

وأيضا نتقدم بالشكر للجنة المناقشة التي تجشمت قراءة المذكرة وتقييمها

كما نتقدم باحترامنا و تقديرنا لزملائنا لما أبدوه من تشجيع و مساندة

و إلى كل من مد لنا يد العون، فشكرا للجميع.

مقدمة

مقدمة

عرفت الرواية الجزائرية تحولا نوعيا في التطور الأدبي والإبداعي، حيث تنوعت أساليبها ورؤاها واختلفت موضوعاتها على المستوى الفكري والجمالي، ومن أهم الموضوعات التي تجسدت في الرواية الاغتراب، والذي يمثل بدوره ظاهرة مأساوية، تنزف قلب المغترب وتؤذي وجدانه، تتعب لياليه وتشنج أفكاره، لتسرق ضحكاته وتجعل منه جرحا يتألم باستمرار. وهذا ما يخلق صراعا نفسيا أو اجتماعيا يعانيه المغترب نتيجة النزوح عن الوطن والغربة عن الذات.

والمستقرئ لموضوع الاغتراب يجد أنه مصطلح حديث شغل العديد من المفكرين والفلاسفة والأدباء، اختلفت مفاهيمه وخلفياته الفكرية، الأمر الذي أدى إلى عدم إمكانية بلورته في تحليل عام، وذلك لتعدد استخداماته ودلالاته واختلاف مواضيعه الإنسانية، الاجتماعية، القانونية، السياسية، الفلسفية، الدينية والنفسية وغيرها...

لتتمكن الرواية بأبعادها المختلفة أن توضح لنا كل ما يتعلق بالتناقضات الاغترابية، وهذا ما جعلنا نختار لبحثنا موضوعا تمت عنونته بـ: الاغتراب في رواية: "حتى العصافير هاجرت" للروائية "هاجر ميموني"، ودراستها من منظار المنهج الموضوعاتي واخترنا هذا المنهج لأنه يبحث داخل الموضوع الأساسي بالاعتماد على نقاط نفسية وفلسفية وهذا هدفنا المنشود.

والإشكالية الأساسية لبحثنا طرحت جملة من التساؤلات التي كان أبرزها:

_ما المقصود بالاغتراب ؟ متى نشأ وكيف تطور؟ كيف تجلى الاغتراب في الرواية وكيف تجسد في الشعر على مر العصور؟ كيف انعكست غربة الذات على اغتراب الموضوع في الرواية؟ وما هي الظروف التي يمكنها تسهيل تجاوز أزمة الاغتراب؟

وللإجابة على الإشكالية التي شكلت بحثنا قمنا بوضع خطة كالتالي:

مقدمة: وفيها طرح إشكالية البحث، وإحاطة بأهمية موضوع بحثنا والمنهج المعتمد في دراسة الرواية، إضافة إلى إبراز الخطة المعتمدة.

المدخل (الفصل التمهيدي): ويعد مفسرا للمنهج الموضوعاتي وخلفيته الفلسفية وأبرز رواده.

الفصل الأول: وعنوانه: **"تقلبات مصطلح الاغتراب"** وتشكل الماهية. وقد اتسم بماهية الاغتراب ودلالاته لنقدم بذلك تعريفا لغويا واصطلاحيا للاغتراب، وتطرقنا إلى نشأة هذا الأخير وتطوره، أيضا أبعاده ومظاهره وركزنا فيه على الاغتراب في الأدب بنوعيه، على مستوى الرواية والشعر.

أما الفصل الثاني فقد جعلناه فصلا تطبيقيا ليتم إدراجه تحت عنوان: "انعكاس غربة الذات على اغتراب الموضوع في رواية "حتى العصافير هاجرت"، في البداية تطرقنا إلى دراسة جوانب الاغتراب في هذه الرواية، بالتركيز على غربة الذات وهواجس الوحدة، وما شملته من اغتراب نفسي وذاتي، مكاني، زماني وأيضا اجتماعي، لنختم فصلنا بكيفية خروج البطلة من قوقعة الاغتراب ودواعي شفاءها منه.ثم أنهينا عملنا بتقديم جملة من النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة.

الخاتمة: تضمنت خلاصة بحثنا و إبراز أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد استقراء الرواية.

وبطبيعة الحال لا يخلو البحث من العراقيل والحواجز التي قد تواجه الباحث خلال مسيرة إنجاز مذكرته منها قلة المراجع، لكننا حاولنا بفضل الله تعالى وعزيمتنا تجاوز كل الصعوبات حتى نقدم بحثنا بأجمل صورة.

في الأخير ومن خلال هذا المنبر نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمشرفتنا الرائعة والخلوقة التي لم تبخل علينا بنصائحها القيمة وتوجيهاتها المستمرة، فلها منا كل عبارات الاحترام والمحبة.

مدخل:المنهج الموضوعاتي

1_ماهية المصطلح

أ_لغة

ب_اصطلاحا

2_تاريخ ظهور المنهج الموضوعاتي

3_الخلفية الفلسفية للمنهج

أ_الفلسفة الظاهراتية

ب_الفسفة الوجودية

4_ رواد المنهج الموضوعاتي

بما أن المنهج الموضوعاتي صار شأنه شأن المناهج النقدية الأخرى، واحتل مكانة كبيرة في النقد العربي الذي عرف هذا المنهج متأخرا، ومن هنا يبدأ السؤال عن ماهية وطبيعة هذا المنهج، وما الخلفية الفلسفية التي تبنته؟ مع البحث والتعرف على أهم رواده.

1_ماهية المصطلح

أ_لغة:

اشتق مصطلح الموضوعاتية من الموضوع، ورد معناه في عدة معاجم عربية وغربية منها:

وردت الموضوعاتية تحت مادة وضع في القاموس المحيط لفيروز آبادي "وضعه، يضعه، بفتح ضادهما. وضعا وموضعا ويفتح ضاده، وموضوعا حطه/.../كأوضعت، فهي واضعة وواضع وموضعة. ووضعتها: ألزمتها المرعى، فهي موضوعة"[1].

كما جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة وضع"وضع.الوضع ضد الرفع،و وضعه يضع موضوعا"[2] ... فرق ابن منظور في هذا التعريف بين الوضع وهو ضد ونقيض الرفع.

فيما ارتأى يوسف وغليسي إلى أن "الموضوعاتية Thematique هو مصطلح Theme الذي اشتق منه الفرنسيون اسم هذا المنهج، فالكلمة تعني في قاموس لاروس الصغير، المادة matiere حينا والموضوع sujet حينا آخر"[3].

ويرى جميل حمداوي أن مصطلح الموضوعاتي في الحقل المعجمي الفرنسي مشتق من"كلمة (Theme) وهي التيمة، وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة كالموضوع، الغرض، المحور، الفكرة الأساسية، العنوان، الحافز البؤرة، المركز، والنواة الدلالية... الخ، و يقابل كلمة (Theme) عند اللسانيين الوظيفيين الجدد مصطلح التعليق (Rheme)، لأن التعليق عبارة عن موضوعات جديدة أو أخبار تسند إليه"[4].

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب فيروز آبادي :القاموس المحيط،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،ط8،مؤسسة الرسالة بيروت،لبنان،2005،ص771.

[2] جمال الدين ابن منظور :لسان العرب ،ج8،دار صادر،بيروت،لبنان،1992،ص396.

[3] يوسف و غليسي :النقد الجزائري المعاصر من:"اللانسونية"إلى "الألسنية"،إصدار رابطة إبداع الثقافة،2002،ص169.

[4] جميل حمداوي :المقاربة النقديةالموضوعاتية،ط01،مؤسسة المثقف العربي،2015،ص06.

أما عند الباحثين والدارسين والنقاد العرب "من يسمي النقد الموضوعاتي **مداريا** كما عند سامي سويدان أو **جذريا** عند فؤاد أبو منصور ومن ثم يترجم الباحث اللبناني فؤاد أبو منصور كلمة Thematique الفرنسية بكلمة **الجذر** لأن الجذر الدلالي بمثابة خلية النص الرحمية، ويتشكل شكلا ومضمونا، بناءا ومعنى"[1].

ليرتبط النقد الموضوعاتي عند العرب بعدة مصطلحات نذكر منها: المداري والجذر وغيرها. ومن هنا فإن للموضوعاتية عدة مفاهيم ودلالات لغوية.

ب_اصطلاحا:

اختلف مفهوم الموضوعاتية والمنهج الموضوعاتي باختلاف الدراسات، وتعدد النقاد والباحثين في هذا المجال.

فيرى مختلف الباحثين أن المقاربة الموضوعاتية هي عبارة عن منهج يبحث داخل الموضوع الأساسي، يظهر ذلك في النص الأدبي، وفي الكتابات الأدبية، فتعتبر ماهية الموضوعاتية أو المنهج الموضوعاتي منهجا نقديا.

فنجد محمد عزام يفرق بين المنهج الموضوعي قائلا: "النقد الموضوعاتي Thermatic Critism يختلف عن النقد الموضوعي في أنه يبحث عن الموضوع، أو التيمة التي تشكل الكاتب وتظهر في كتاباته، وهو يشبه العقدة في التحليل النفسي الفرويدي، لأنه يبقى لا شعوريا"[2].

فالنقد الموضوعاتي يبحث في الموضوع الأساسي الذي يشكل الكاتب، ونجده داخل النص الأدبي، والمنهج الموضوعي وهو ما يتعلق بالنص في حد ذاته ولا علاقة له بخارج النص.

ويذهب سعيد علوش مبينا مصطلح الموضوعاتي باعتباره "تحديدا إجرائيا تعالج من خلاله وحدات ذات درجة تكون تركيبية واحدة دون اشتمالها على عدد العناصر نفسها شريطة تداخل الأشكال المترابطة لا الأشكال الحرة"[3].

[1] جميل حمداوي:المقاربة النقدية الموضوعاتية،ص08.

[2] محمد عزام :المنهج الموضوعي في النقد الأدبي،دط،من منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،1999،ص16

[3] سعيد علوش:النقد الموضوعاتي،ط1،شركة بابل للنشر و الطباعة،الرباط،المغرب،1989،ص6.

فعند البحث في الموضوعاتية نجد سعيد علوش يقر بأنها: "بحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها معنى العمل الأدبي ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة التي تجعلنا نلمس تحولاتها، وندرك روابطها، في انتقالنا من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة"[1].

أما الموضوع ميشال كولوت michel collot يعرفه بأنه "الموضوع الفكرة الرئيسية حسب النقد الموضوعاتي، ويأخذ أبعاد نفسية ويعرف عن طريق التكرار"[2].

ومنه نستنتج أن الموضوع هو المبدأ الرئيسي حسب المنهج الموضوعاتي، فهو يعتمد على نقاط فلسفية نفسية وحسب رأيي الشخصي فإن هذا التعريف يتفق مع تعريف محمد عزام المذكور سابقا. وما يميز هذا الموضوع والنقد الموضوعاتي هو التكرار.

2_تاريخ ظهور المنهج الموضوعاتي:

تأخر ظهور النقد الموضوعاتي في النقد العربي إلى ثمانينات القرن العشرين وكان ظهور المنهج الموضوعاتي كان مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، "مع ما حملته الآراء النقدية الفرنسية، التي تطور معها الدرس الموضوعاتي الألسنية والبنيوية، فقد حاول أن يحافظ على استقلاليته تجاه المناهج النقدية التقليدية والحداثية، وذلك باتخاذه منحى جديد يعتمد على وسائل مختلفة في الدرس والتفسير للأعمال الإبداعية حيث يحصر الاهتمام بالكامل في شكل معاني الموضوعات، وكانت هذه الرؤية ضمن حركية النقد الجديد، حيث كان النقد حينئذ منشغلا باهتمامات ذات طبيعة موضوعاتية منها ما هو فينومينولوجي ظاهراتي"[3].

ظهر المنهج الموضوعاتي في ستينات القرن العشرين،في فرنسا تحديدا،تطور وترعرع فيها، حيث يعد الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار Gaston Bachelard الرائد الأساسي والمتبني لأفكار وأسس هذا المنهج.

تم ظهور النقد الموضوعاتي **Critique Thematique** "بفعل مجهودات علمين بارزين من أعلامه هما:

[1] سعيد علوش :النقد الموضوعاتي،ص7.

[2] فاطمة هرمة :(النقد الموضوعاتي_الماهية و التشكل)الخطاب، ع1،جانفي 2020،جامعة غرداية ،الجزائر،ص317.

[3] الدكتور جميرن ميهوب :(المنهج الموضوعاتي...بين النظرية و التطبيق)،مجلة الباحث، ع12أفريل 2013م،جامعة الأغواط،الجزائر،ص166.

جون بول ويبر**jean paul weber وجون بيار ريشار jean pierre richard"**[1]

أولى النقد الموضوعاتي أهمية كبيرة بالموضوع، نشأ من خلال مجهودات بعض الرواد والأعلام التابعين لهذا المنهج. وهو مرتبط كثيرا ببعض الخلفيات الفلسفية، سوف نتطرق إليها في عنصر الخلفية الفلسفية للمنهج.

وقد أشارت جاكلين بيكوش (picoch jacqueline) إلى ظهور المنهج الموضوعاتي متدرجة في ذلك من أول معنى له "إلى هذه الكلمة **Theme** كانت تعني في القرن 13م كل ما تعنيه كلمة **Sujet مادة أو نوع** أو محتوى أو قضية أو مسألة في العربية، ثم تطورت في القرنين 16 و17م لتدل على امتحان مدرس**Composition Scolaire** وترجمة **Traduction** وبعدها دخلت على التنجيم من القرن 17م، ثم علوم الموسيقى واللغة من القرن 19م، حيث ظهرت كلمة الموضوعاتية Thematique في القرن ذاته"[2].

من خلال هذا نستنتج أن الكلمة Theme في البداية كانت ترتبط بكلمة sujet مع جمع مفرداتها، و كل ما تحمله من معاني، ثم اندمجت لتصبح مفردة تدل على مختلف الامتحانات المدرسية، وترجمة الموضوعات إلى لغات مختلفة ثم ولجت في العديد من المجالات المختلفة إلى أن استقرت على مصطلح الموضوعاتية في القرن 19م.

3_الخلفية الفلسفية للمنهج:

تستند المقاربة الموضوعاتية إلى خلفية فلسفية، تبني عليها أسسها ومنهجها النقدي، فهي تقوم على "خلفية فلسفية وابستمولوجية تتمثل في ظاهرية إدموند هرسول (1859_1938)، ومجهود الفلاسفة الظاهريين أمثال مارتن هيدجر (Martin Heidegger)، وجان بول سارتر (Sartre)، وغاستون باشلار (Bachlard)، ومن المعلوم أن الظاهراتية وخصوصا فلسفة هوسرل (Husserl) جاءت كردة فعل على النزعتين: المثالية والتجريبية معا (فلسفة الذات والموضوع)"[3].

إذن نستنتج من خلال ذلك أن المقاربة الموضوعاتية تقوم على فلسفة ظواهرية، تبني أسسها ومبادئها على الوعي أساسا، لنجدها في الوقت نفسه ترفض اللاوعي.

[1] منيرة شرقي:{النقد الموضوعاتي}،مجلة الآداب ،العدد1،ديسمبر2019، جامعة العربي التبسي،تبسة ،الجزائر،ص77.
[2] رضوان جنيدي:{النقد الموضوعاتي(الأسس و الإجراءات)}،مجلة آفاق علمية ، ع04، 2019م،المركز الجامعي لتامنغست الجزائر ،ص600.
[3] جميل حمداوي:المقاربة الموضوعاتية،ص17.

أ_الفلسفة الظاهراتية:

نشأ المنهج الموضوعاتي في أحضان الفلسفة الظاهراتية وارتبط بها، واستمد جذوره منها وهو "متمخضا عن الفلسفة الظواهرية التي فجواها أن معرفة العالم لا تأتي بغير تحليل وعي الذات وهذا الوعي الذي يستبطن الأشياء كما هي بمعزل من الذات شيء لا طائل منه، لذلك فإن "المفهوم الرئيسي في الفلسفة الظواهرية هو مفهوم قصدية الوعي أي كونه موجها نحو الموضوع والتي تعني تأكيدا للمبدأ المثالي الذاتي: ليس هناك موضوع بلا ذات"[1]

علاقة المنهج الموضوعاتي بالفلسفة الظواهراتية علاقة حميمية وقوية، أطلق عليه اسم النقد الظاهراتي وذلك من خلال ارتباطه الوثيق بفلسفته. وسمي لها. فمن خلال هذا نستنتج أن النقد الموضوعاتي جزء لا يتجزأ من فلسفته الظاهراتية. ودليل ذلك عند يوسف وغليسي "لا عجب أن يرد **المنهج** موسوما باسم فلسفته في بعض التنظيرات النقدية، حيث نعثر على مثل هذا التزاوج عند **صاحبي دليل النقاد الأدبي** اللذان يصطلحان عليه باسم النقد الظاهراتي الفينومينولوجي"[2].

يستمد النقد الموضوعاتي أو ما يسمى بالمقاربة الموضوعاتية مبادئها أساسا إلى فلسفة هوسرل Husserl فإن "ظاهرة هوسرل جاءت في نظر ماحليوط كرد فعل على النزعة المثالية والتجريبية معا، لأن المثالي يستبعد العالم الخارجي كمصدر للمعرفة والتجريبي يؤكد على الدور السلبي للوعي، أما هرسرل فيرى أن الوعي والعالم الخارجي يمثلان حقيقة ماثلة، وأن الوعي عندما يفكر في العالم يتجه إليه بصورة مباشرة تكون فيه الذات قاصدة، والشيء الخارجي مقصودا"[3].

الوعي إذن هو الوعي بشيء ما، وهو الحقيقة عند هوسرل husserl وهو يعتبر وعي الذات ومعرفتها بنفسها، وما يقع ويحصل خارجها.

ب_الفلسفة الوجودية:

تعد الفلسفة الوجودية من أهم الخلفيات الفلسفية التي تأثرت بها الموضوعاتية.

---

[1] يوسف و غليسي :النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية ،ص169، 170.

[2] يوسف و غليسي،النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية ،ص170.

[3] حميد لحميداني :سحر الموضوع،عن النقد الموضوعاتي في الرواية و الشعر،ط2،دراسات سيميائية أدبية و لسانية(دراسات سال)،فاس،المغرب،2014،ص30.

ارتأى حميد لحميداني إلى تبيين العلاقة بين المنهج الموضوعاتي بالفلسفة الوجودية " وقد تبين لنا بوضوح أن علاقة هذا المنهج بالفلسفة الوجودية على الأخص كانت متينة، إلى حد أن بعض الدارسين اعتبروا جان بول سارتر واحدا من النقاد الموضوعاتيين، رغم أنه أسس نمطه النقدي الوجودي المتميز "[1].

العلاقة التي تربط النقد الموضوعاتي بالفلسفة الوجودية علاقة قوية ومترابطة، لا يمكن فصلها. فالخوض في المنهج الموضوعاتي من طرف الرواد الذين أسسوا نمطهم الوجودي بصفة خاصة. اعتبروا من خلال بعض الباحثين أنهم نقاد موضوعاتيين.

نجد ذلك واضح عند ريشارRichard الذي تأثر بالفيلسوف جان بول سارتر Jean_paul sarter حيث يؤكد هذا الأخير "الوعي هو الكائن الذي هو ما ليس هو، وليس هو ما هو"[2]. فالوعي هنا لا يعبر عن ذاته وأصله، بل يعبر عن ما هو خارج الشيء.

ومنه نستخلص أن المقاربة الموضوعاتية أسسها فلسفية متمثلة "في الفلسفة الظاهراتية، والفلسفة الوجودية والفلسفة التأويلية الهرمونيتيكية، وأسسا ابستمولوجية تتجلى في انفتاح المقاربة على علم النفس، وعلم المعجميات وعلم اللسان، والسيميائيات، والنقد الأدبي، وعلم الجمال، وشعرية التخيل"[3]

ليتبين لنا "أن النقد الموضوعاتي لا تنحصر خلفيته الفلسفية في إطار نظرية هرسرل الصارمة. رغم أنه ينطلق مبدئيا من معطياتها، إنه يفتح جميع الآفاق الممكنة من أجل تفسير الإبداع"[4].

إذن فإن المقاربة الموضوعاتية لها أسسا فلسفية تقوم عليها تتمثل في الفلسفة الظاهراتية، والفلسفة الوجودية، والفلسفة التأويلية، ولكل فلسفة عناصرها. ومبادئها الخاصة التي تربطها مع المقاربة الموضوعاتية وتشكل لنا القوانين المتبعة من خلال النقد الموضوعاتي.

---

[1] حميد لحميداني :سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية و الشعر،ص34، 35.

[2] عائشة حمادي و إيمان زوقاغ :رواية"وطن من زجاج"ل"ياسمينة صالح"،دراسة موضوعاتية،من منظور جان بيير ريشار ،مذكرة ماستر،دراسات أدبية،محمد بوتالي،أكلي محند أو لحاج،البويرة،الجزائر،2016م،2017م،ص12.

[3] جميل حمداوي :المقاربة الموضوعاتية،ص18.

[4] حميد لحميداني :سحر الموضوع،ص31.

4_رواد المنهج الموضوعاتي:

أ. غاستون باشلار (Gaston bachelard):

يعتبر المحرك الأساسي والأب الروحي للنقد الموضوعاتي، دخل هذا الأخير وتغلغل في ثغراته الفلسفية والشاعرية، وقدم العديد من الأفكار في مجال الأبستمولوجيا. ليمر بمرحلتين في حياته العملية، تبنى في المرحلة الأولى دراسة إشكاليات معرفية علمية، أما بالنسبة للمرحلة الثانية فقد تحول فيها من دراسة فلسفة العلم إلى دراسة فلسفة الفن والجمال. وذلك من خلال توظيف التحليل الظاهراتي في دراسة موضوع الخيال، حيث يرى باشلار أنه: "في دراسة الخيال لا يوجد موضوع دون ذات، بل أن الخيال، بالنسبة للمكان، يلغي موضوعية الظاهرة المكانية، أي كونها ظاهرة هندسية. ويحل مكانها ديناميته الخاصة_المفارقة"[1].

ففكرة الظاهراتية حسب رأي باشلارلآ Bachelard تتجسد من خلال ما نحلم به، والحلم بدوره يخلق نتيجة التقاء الذات بالموضوع، ليوضح باشلار أن: "الموضوع يتحدد من خلال وعينا به ومعايشتنا له"[2].

كما اهتم باشلار Bachelard بعناصر الكون الأربعة (ماء، هواء، تراب، نار)، ليدرس الصورة الشعرية متخذا منها موقفا موضوعيا، باحثا عن مظاهر الوعي واللاوعي، وتسرباته السيكولوجية في الصورة الشعرية.

وتحت تأثير التحليل النفسي، وضع دراسات أثارت الجدل من خلال كتابه **النار التحليل النفسي** ليثبت من خلاله أن النار كائن اجتماعي قابل للتحليل، حيث يرى أن: "للهاجس عند الموقد محاور فلسفية أكثر عن سواه".

والنار عند من يتأملها مثال على الصيرورة الآجلة، وهي أقل رتابة وأقل تجريدا من الماء الجاري، لا بل هي أسرع إلى التكاثر من الطير في وكناتها"[3].

تحت تأثير باشلار Bachelard بالتحليل النفسي واهتمامه بالعناصر الأربعة، وضع مؤلفات أخرى منها: الماء والأحلام 1942، الهواء والأوهام 1944، الأرض وهواجس الإرادة 1948... لينتقل في مرحلته التالية من

[1] غاستون باشلار :جماليات المكان،تر:غالب هلسا،ط2، 1984،مج المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت،ص10.
[2] غاستون باشلار،جماليات المكان ،ص11.
[3] غاستون باشلار:النار في التحليل النفسي،تر:نهاد خياطة،ط1، 1984،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت،ص19.

التحليل النفسي إلى مؤلفات تحمل في طياتها التحليل الظاهراتي، منها: **جمالية المكان** ليرى باشلار من خلاله "أن الفيلسوف الذي تطور تفكيره بكامله من خلال الموضوعات الأساسية لفلسفة العلم، والذي تابع الخط الرئيسي لعقلانية العلم المعاصر النشطة النامية، عليه أن ينسى ما تعلمه، ويتخلى عن عاداته في البحث الفلسفي، إذا كان يرغب في دراسة المسائل التي يطرحها الخيال الشعري، ففي هذا المجال لا أهمية للماضي الثقافي"[1]. ليتضح من خلال قوله قصد صعوبة وضع فلسفة الشعر تحت قواعد عامة.

من هنا إلى كتابه **شاعرية أحلام اليقظة** ليتبين من خلاله أن: "المنهج الظاهراتي هذا، بما يفرض علينا من عودة دائمة إلى ذاتنا، وبذل جهدا يتضاحي في عملية الوعي، حول صورة معينة قدمها الشاعر، فهو هكذا يدفعنا إلى محاولة الاتصال مع الوعي المبدع لهذا الشاعر"[2]. ليبدع باشلار Bachelard من خلال هذا الكتاب في دراسة الصورة الأدبية على أسس ظاهراتية بعيدة عن كل ما هو نفسي وشعوري.

ب.جان بيار ريشار(jean_pierre richard):

المؤسس الثاني للنقد الموضوعاتي، ومن أهم الرواد الذين مثلوا النقد الموضوعاتي تنظيرا وتطبيقا، عمل بدوره على تجديد النقد المعاصر، واهتم بالبعد الذاتي للقراءة وأهمية المحتوى الداخلي للنصوص، ليهتم أيضا بصلة الوعي بالفعل الإبداعي والفني، مستفيدا من كتابات غاستون باشلار. من أهم مؤلفاته التي برزت فيها المقاربة الموضوعاتية: الأدب والحساسية1954، الشعر والأعماق 1955، العالم المتخيل لمالارميه 1961، دراسات عن الشعر المعاصر 1964،دراسات عن الرومانسية1971.

اهتم جون بيبر ريشار Richard منذ بداية بحثه النقدي بشبكة حسية أساسها اللاوعي، ويعد تصوره للعمل الأدبي "تصورا وجوديا، فهو عنده مغامرة وجود، ينبغي للناقد أن يكشفها داخل العمل الأدبي"[3]، ليبحث ريشار في كل عمل عن معنى يناسب في اللاوعي العمل المؤدي لتطور الفكر .

من هنا بلورت فكرة أهمية النقد الموضوعاتي في قوله أنه: "وعي يساعد في تحويل العالم الحسي إلى مادة روحية"[1].

---

[1] غاستون باشلار:جماليات المكان،ص17.

[2] غاستون باشلار:شاعرية أحلام اليقظة،تر:جورج سعد،ط1، 1991،مج المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت،ص5.

[3] إليزابيث غافو غالو:مناهج النقد الأدبي،تر:يونس لشهب،ط1، 2013،عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع،الأردن،ص37.

لنفهم من خلال هذا القول مثابرة ريشار على تحويل العالم المتجسد إلى مادة روحية مرتبطة بحقائق محسوسة و علل أصلية.

حاول أيضا بيبر ريشار Pierre Richard ربط المادة اللاواعية بالعناصر اللغوية الأسلوبية "فاتحا النص على مضمون العنصر الفكري والفلسفي"[2]. وذلك لأن ريشار Richrd يرى أن الأسلوبية هي المساهم الأول في معالجة لغوية النقد الموضوعاتي، ليخلق بهذا لنفسه منظومة مفهومية مختلفة عن تجربة أستاذه باشلار.

ج. جورج بولي (George poulet):

ناقد بلجيكي وزعيم مدرسة جنيف للنقد الفينومولوجي، ويعد أحد أبرز أقطاب المنهج الموضوعاتي.

من أبرز أعماله: دراسات في الزمان الإنساني 1950، البعد الداخلي 1952، تحولات الدائرة 1961، الفضاء البروستي 1963، الوعي النقدي 1971...

تحت التأثير الباشلاري وضع جورج بولي George poulet أسس موضوعاتية، حيث ركز في رؤيته النقدية على "جوهر محتوى الوعي، والدلالات الضمنية من خلال انتظام الخيال المبدع في مقولتي الزمان والمكان أو الفضاء، وليس المطلوب من النقد تأمل الفكر فقط، بل عليه الارتقاء من صورة إلى أخرى، نحو بلوغ الحساسيات،كما عليه أن يصل إلى الفعل"[3] ليذهب بولي Poulet بهذا إلى الارتقاء من الخيال إلى الأفعال، الفعل الذي يساهم بدوره في تجانس العقل الروح مع الجسد وجسد الآخرين.

ويشدد جورج بولي Poulet على "ضرورة التركيز على علاقة المبدع بعمله، وطبقا لرأيه فإن أهم ما يجب التوقف عنده كعنصر للدراسة، هو الوضعية الأولى التي سيطرت على الكاتب، فجعلته يبني إبداع على مرجعياته دون وعي منه بذلك" وأيضا ركز بولي من جهة أخرى على "الرجوع إلى تموقع المؤلف في كل خطوة تخطوها

[1] سعيد علوش:النقد الموضوعاتي،شركة بابل للطباعة و النشر و التوزيع ،الرباط،1989، ط1،ص40.
[2] فؤاد أبو منصور :النقد البنيوي الحديث بين لبنان و أوروبا،دار الجيل ،بيروت ،1985،ص182.
[3] سعيد بوخليط:النقد الأدبي الموضوعاتي،21 مارس 2021،سا20:25، الرابط الالكتروني: www.thakafamag.com.

الدراسة الموضوعاتية، وذلك لضبط علاقتها بتحديد البنى الداخلية للنص"[1]... لنرى من خلال هذا القول اهتمام بولي الشديد بالمواقف الأولية للكاتب، الدافعة إلى انتاجاته الإبداعية.

ويشترط بولي Poulet على الناقد أن "يندمج ولو بصورة جزئية، وبالعمل المدروس الذي تعتبر معرفته وفهمه والاندماج فيه الغاية الحقيقية للنقد، مؤكدا بذلك على الذاتية التي ينبغي أن تسيطر"[2]... ففي إنجاز الناقد للعمل الذاتي ضرورة، تتم من خلالها دراسة باطن وعمق الأشياء.

د. جان ستاروبنسكي (Jean starobinski):

ناقد سويسري، فارس التحليل الأدبي الكبير وآخر عمالقة النقد الأدبي، ويعد من أبرز نقاد المنهج الموضوعاتي. ركز دراساته على موضوع "النظرة"... "من منظور يستقي من معين إجراءات التحليل النفسي. في أعمال مجموعة المبدعين الفرنسيين من أمثال: جان جاك روسو (سويسري من أصول فرنسية) وبيير كوربي وجان راسين وهنري بيل ستاندال"[3].

وتتمثل الموضوعاتية عند جان ستاروبنسكي Jean Starobiniski من خلال "التركيز على أبعاد الدلالات والرموز، فهو يركز على البعد الدلالي الذي تأخذه النظرة بين طيات كتابات مختلف المؤلفين، لأنها تجسد قوة الرغبة..."[4] ليذهب رأيه إلى أن للنظر صلة وطيدة بالتحليل النفسي، ومن خلال النظرة تظهر الرغبة في أقصى قوتها ودلالتها. وقد شكل ستاروبنسكي Starobinski من خلال رؤيته الجديدة للقراءة "أحد المحطات الأساسية في تجاوز الرؤية الكلاسيكية، ووضع تصورا آخر للفعل النقدي باعتباره لحظة وعي بالبعد الحلمي الذي يحكم اشتغالات المبدع. فأسس بذلك نقد المماثلة D'identification، بحيث أنها كل تباين وانفصال بين الفكر الناقد والمنتقد..."[5] من خلال هذا يتم اختراق النقد، وفتح تصور جديد، يختلف عن طبيعة دراسة النقد المألوفة، تجسد من خلال نقد المماثلة.

---

[1] لعربي نجيبة :الكتابة الدرامية في نتاجات المسرح الوطني الجزائري،محي الدين بشطارزي(2000_2012)_دراسة موضوعاتية_،شهادة ماجستير،قسم الفنون الدرامية،أنوال طامر،2014/2013،ص21.

[2] محمد عزام :النقد الموضوعاتي،22 مارس 2021، سا14.00، www.startimes.com.

[3] رضوان جنيدي :{النقد الموضوعاتي(الأسس و الإجراءات)}،مجلة آفاق علمية،ع4،جوان2019،المركز الجامعي لتامنغست،الجزائر،ص612.

[4] لعربي نجيبة:الكتابة الدرامية في نتاجات المسرح الوطني الجزائري ،ص23.

[5] سعيد بوخليط :النقد الأدبي الموضوعاتي،www.thakafamag.com.

أيضا تناول تصور ستاروبنسكي حركة تغيير الفكر لاتجاهه وانفصاله عن ذاته، أي"إقامة الوظيفة الأساسية لهذه العلاقة الصعبة بين الفكر وما يختلف عنه، كل شيء يبدأ بالحركة التي تحمل الذات إلى "إدراك الوجود" والالتحاق بالعالم الخارجي، وكذا رغبة الوعي لمعرفة الأشياء الأكثر غرابة عنه"[1].

من خلال هذا نستنتج أن نقد ستاروبنسكي Starobinski لا يهتم بالظاهريات، بل يخضع للتحليل النفسي، فيدرس المواقف والأفعال بكافة جوانبها. فالناقد عند ستاروبنسكي هو الذي يواجه الفساد والأقنعة المزيفة لكل ما هو حقيقي ويغوص في اكتشاف جوهر الأشياء ومعدنها.

من خلال ما تطرقنا إليه في هذا المدخل نستخلص بعض النتائج التي يمكن حصرها في النقاط الأساسية التالية : _اشتق مصطلح الموضوعاتية من الموضوع ونسب إليه.

_عرف مصطلح الموضوع إشكالا وتضاربا كبيرا في النقد العربي مما أدى إلى فوضى المصطلح ومن ناحية التسمية أيضا فنجد المنهج الموضوعي، المنهج الجذري، والمنهج المواضيعي.

_الموضوعاتية هي عبارة عن منهج يبحث داخل الموضوع الأساسي ويظهر تحديدا في النص.

_ترتكز المقاربة الموضوعاتية إلى خلفية فلسفية ظاهراتية واعتبرت الفلسفة الوجودية أهم الخلفيات التي استمدت منها مبادئها.

_من أهم رواد النقد الموضوعاتي غاستون باشلار Gaston bachelard وجان بيار ريشار .Jean pierre richard

[1] سعيد بوخليط :النقد الأدبي الموضوعاتي،www.thakafamag.com .

الفصل الأول:

الاغتراب:تقلبات المصطلح وتشكل الماهية

أولا: مفهوم الاغتراب

أ_لغة

ب_ اصطلاحا

ثانيا: الاغتراب في الأدب العربي قديما وحديثا

أ-الاغتراب في الشعر القديم

ب_الاغتراب في الشعر العربي الحديث و المعاصر

ج_الاغتراب في النثر العربي

ثالثا: أبعاد الاغتراب ومظاهره.

الاغتراب يعني على العموم أن يعيش الإنسان في عالم لا إنساني، بمعزل عن الآخرين، يواجه صعوبات الواقع على حساب صحته ومشاعره الداخلية، فيكون في حرب دائم مع واقعه وداخله، يرفض الانتماء إليه وفي الوقت ذاته يعيش صراع إجبار تقبله، وتقبل مظاهره من قلق وشك وحيرة تتبعه.

فيعد من أبرز الظواهر حضورا بقوة في الأدب العربي، وخاصة النص الروائي الحديث نتيجة الواقع الذي يعاني اجتماعيا وثقافيا وسياسيا وأخلاقيا.

أولا: مفهوم الاغتراب:

أ_ لغة:

يعد موضوع الاغتراب من المصطلحات الحديثة التي شغلت اهتمام الأدباء والمفكرين والفنانين والفلاسفة، لتتضارب الأقوال والاتجاهات في شأن هذا المصطلح متعدد ومختلف الدلالات. لينجح في فرض نفسه، ويترأس أهم الأعمال، كما احتل مكانة جوهرية في كتب النقد والأدب والتحليل الاجتماعي وعلم النفس واللاهوت.

وقد صدرت في السنوات الأخيرة أعداد كثيرة من المؤلفات مختلفة اللغات، التي تناولت معالجة ظاهرة الاغتراب ومفاهيمها ومضامينها... وللاغتراب معان مختلفة ودلالات عديدة، تعكس الرؤيا الفنية له، "فإن تتبع اللفظ في المعاجم العربية، يشير إلى أنه مشتق من الفعل غرب، يغُرب، بمعنى غاب واختفى وتوارى وتنحى وبعد عن وطنه"[1]... ويشير أحمد مختار عمر إلى أن الاغتراب مصدر من الفعل" اغترب " وهو مصطلح دال على "معنى الضياع، وفقدان الإنسان شخصيته وكيانه مما يجعله يحس بالحاجة إلى الثورة والخروج على المألوف كي يستعيد هذا الكيان وتلك الشخصية..."[2] ومن هنا يتبين أن الاغتراب دل على الإحساس بالضياع واضطراب الشخصية.

والتغرب كذلك، يقال"غربه الدهر، واغترب عن وطنه، إذا ابتعد عنه، يقال للرجل غريب، أي بعيد عن وطنه، وللمرأة غريبة"[3]... إذ جاء لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة والانفصال عن الوطن.

نجد أيضا التعريف التالي: غَرب أي بعُد، ويقال أغرب عني أي تباعد، ومنه الحديث: أنه أمر بتغريب الزاني، التغريب: النفي عن البلد التي وقعت الجناية فيه، يقالأغربتُه وغربتُه وأبعدته.

---

[1] أحمد علي ابراهيم الفلاحي :الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري _دراسة اجتماعية نفسية _،ط1، 1434هـ،2013م،ص11.

[2] عمر أحمد مختار عبد الحميد :معجم اللغة العربية المعاصرة،دار عالم الكتب،القاهرة ،مصر،ط1،ج2،ص1602.

[3] ابن منظور،أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي المصري الافريقي(1414هـ):لسان العرب،دار صادر،بيروت،لبنان،ط3،ج:1،ص639.

والتغرب: البعد، وفي الحديث: أن رجلا قال له: إن امرأتي لا تريد يد لامس، فقال: غربها أي أبعدها، يريد الطلاق..."[1] لتأخذ المعنى من خلال هذا نفس منحى المعاني السابقة، ويمثل الاغتراب من خلالها النفي والانفصال والتخلي، وقد أكد هذا المعنى الجوهري في تقديمه مفهوم التغريب على أنه النفي والإبعاد عن البلد.

وكثيرا ما يعطي لفظ الاغتراب دلالات أخرى "باتت متداولة حديثا كالانسلاخ عن المجتمع والعزلة أو الانعزال، أو عدم القدرة عن الاندماج في المجتمع، أو عدم الشعور بالانتماء..."[2] وهذه الدلالات "الذهاب، التنحي، البعد، النوى، النزوح... توحي بأن الاغتراب يتم بإرادة ذاتية، تمتلك إمكانية الاختيار أي حصول الذهاب برغبة وإرادة الذهاب..."[3]فهنا تأتي بمعنى الذهاب والتنحي وليس بمعنى النفي.

لكننا نجد في قول ابن منظور "وأغرب الرجل،جاء بشيء غريب"[4]. هنا نلمس اختلاف في مضمون الدلالة عن سابق المعاني إذ"عبر المعنى هنا عن الاختلاف، والتجاوز على المألوف السائد، ذلك أن الشيء الغريب هو كسر للآخر وللأسس والتقاليد والتصورات القائمة..."[5] فمن هنا يمكننا القول أن الاختلاف مرتبط بالغرابة، يعني تجاوز الممكن الذي لا يعقل، وتحديد عمق الغرابة يبنى على أساس العادات والتقاليد السائدة في البيئة التي تنتج ذاك الغريب.

لذلك يتبين لنا أن: "النظر المتعجل قد يقود إلى الظن أن المعنى اللغوي الذي ورد في المعاجم لا يتعدى مفهوم النزوح والابتعاد عن الوطن، لكن عملية استقراء النصوص وتشخيص المدلولات تشير إلى أن هناك معاني أخرى يمكن أن تبرز لنا..."[6] لتتمثل مثلا في الغربة الاجتماعية، والتي تشمل الابتعاد عن الأمل والأقارب، أيضا الغربة مع الذات أو الآخرين وهذا ما يمثله الاغتراب النفسي باعثا في النفس الشعور بعدم الانتماء، ليجد الإنسان نفسه غريبا في مجتمع يصارع فيه القيم والرغبات.

---

[1] سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_دار الينابيع،دمشق ،سوريا،ط1،ص14.

[2] عبد الكريم هلال خالد :الاغتراب في الفن _دراسة في الفكر الجمالي العربي المعاصر_،منشورات جامعة قاريونس،ط1،بنغازي،1998،ص139،

[3] كيلاس محمد عزيز العسكري:الاغتراب في شعر الشاعرين محمود درويش و شيركو بيكه س_دراسة تحليلية فنية_،رسالة ماجستير،إشراف :د.داود سلوم،جامعة بغداد،2005م،ص18.

[4] لسان العرب ،مادة غرب.

[5] أحمد علي لبراهيم الفلاحي:الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري،ص12.

[6] أحمد علي ابراهيم الفلاحي،الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ،ص12.

ومن هنا فإنه من الصعوبة وضع تحليل شامل وعام لمفهوم الاغتراب، لاتساع مجالات استعمالاته واختلاف معانيه.

ب_اصطلاحا:

اختلفت وجهات نظر الكتاب بخصوص مفهوم الاغتراب وفقا للزاوية التي ينظرون منها إليه، فمنهم من رأى أنه وعي الفرد بالصراع القائم بين المغترب والبيئة المحيطة به، في صورة تجسدت في تدهور حالته النفسية، وابتعاده عن واقعه الاجتماعي، ومنهم من ربط معناه بالانفصال وعدم الانتماء، ليتمثل الاغتراب في أنه "شعور يمكن أن يراود أي إنسان في سائر المجتمعات والثقافات، فحيثما يوجد إنسان فرد يشعر بتفرده وتميز شخصيته، ولا يستطيع التجاوب أو التفاعل مع الأوضاع والظروف السائدة في المجتمع، أو البيئة التي يعيش فيها..."[1] و هذا في النفس الشعور بالاغتراب وفقدان السيطرة.

وقد أخذ مفهوم الاغتراب متعدد الدلالات مكانة هامة على رأس العديد من الكتابات الأوروبية، ومثل: "حصاد الحضارة الغربية المعاصرة، وثمرة تطور المجتمع الغربي في قرونه المتأخرة، والذي عانى منذ عصر النهضة صراعا حادا"[2].

ولعل الفيلسوف الانكليزي توماس هوبز (T.h Hobbes) كان أول من استعمل مفهوم الاغتراب ليعتبره "خلل يمكن أن يعتري الذات الإنسانية، وذلك عندما أشار إلى الاغتراب الذي يحصل بسبب وقوع خلل في إبرام العقد الاجتماعي من قبل أفراد البشر،و ينتقلون بموجبه من الحالة الطبيعية إلى حالة المجتمع المدني..."[3] فبذلك يرى هوبز أن الإنسان يستطيع الدخول في العقد الاجتماعي عندما يتخلى عن حقه الطبيعي، بكامل إرادته ووفق ما يخدم مصالحه، حتى يكتسب حق الحياة.

أما جان جاك روسو (J.J.Rousseau) فقد ارتقى بمفهوم الاغتراب إلى مستوى عالي من النضج، لترد عنده الفكرة بمعنيين، معنى سلبي ومعنى إيجابي... وتمثل الاغتراب عند روسو من خلال كتابه العقد الاجتماعي في

[1] ميساء نبيل عبد الحميد:الغربة و الاغتراب في روايات{غائب طعمة فرمان}،2021/03/21 ،سا 13.30
الرابط الالكتروني : www.alnaked_aliraq.net

[2] أحمد علي ابراهيم الفلاحي :الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ،ص16.

[3] ميساء نبيل عبد الحميد،الغربة و الاغتراب في روايات {غائب طعمة فرمان}، 29 مارس 2021، سا 10.35، الرابط الإلكتروني : www.alnaqed_aliraqi.net.

أن: "يسلم الإنسان ذاته إلى الكل وأن يضحي بها سبيل هدف نبيل وكبير،كقيام المجتمع أو دفاعا عن الوطن"[1]...ليصبح الاغتراب من خلال هذه الدلالة عملا إيجابيا، يضحي فيه الإنسان بذاته وأعز ممتلكاته من أجل خدمة مصلحة غيره.

أما في كتابات روسو Rousseau النقدية للحضارة والمجتمع يرى: "أن الحضارة قد سلبت الإنسان ذاته، وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية ليصبح ذاتا أخرى تتحكم فيها إرادته خارجة عنه..."[2] ليتوجه بهذا إلى الاغتراب في معناه السلبي، الذي يتمحور حول فقدان الإنسان ذاته، وتحوله إلى سلعة تباع وتشترى. و قد اكتسب مفهوم الاغتراب دلالة فلسفية عند رواد الفلسفة الألمانية، نذكر منهم:

فيخته Fichte: الذي ربط الاغتراب بمعنى التخارج أي: "التسليم أو التجرد"[3]، ويقوم برنامج فيخته على أن: "العالم الظاهري يعتبر نتاجا للإبداع الروحي، وبما أن الإنسان روح فهو ليس مجرد جزء من العالم الظاهري هذا،و إنما سر وجوده، وبفضل وعيه فإنه بإمكانه التفوق على هذا العالم..."[4] ليقدم فيخته بهذا مصطلحا جديدا للدلالة على الاغتراب ألا وهو التخارج، وبرنامج مفاده أن الإبداع الروحي هو الرائد الأساسي في تغطية الفراغ بين العالم الروحي والظاهري.

وهذا ما يذهب إليه هيغل Higel في نظريته حول الاغتراب، ليرى أنه: "أمر ضروري، يدرك الروح من خلالها ذاته بالحلول في نقيضها الآخر، وعلى الرغم من أن هذا التخرج يسبب لها الآلام والمعاناة، إلا أن ذلك يجعلها تعبر عن حريتها بالعودة إلى الذات من جديد..."[5] فمصطلح الاغتراب عند هيغل تبلور في فكرة الانفصال، ليرتبط بنهب الحرية وانعدام القدرة والمعرفة.كما اعتبر أن: "الإنسان واعيا لذاته واعتبر اغتراب الإنسان اغترابا لهذا الوعي"[6].

[1] زكي نجيب محمود :هذا العصر و ثقافته،ط1،دار الشروق ،بيروت،1981،ص173.

[2] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،دار الخلدونية للنشر و التوزيع ،القبة القديمة،الجزائر،ص20.

[3] لزهر مساعدية:نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،ص21.

[4] لزهر مساعدية:نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،ص22.

[5] د.محمد ابراهيم الفيومي :ابن باجة و فلسفة الاغتراب،ط1،دار الجيل،بيروت،1988،ص62.

[6] دشوش فاطمة الزهراء:مفهوم الاغتراب في فلسفة فيورباخ،مذكرة مقدمة مكملة لنيل شهادة الماستر ،تخصص فلسفة،إشراف :مجكدود ربيعة ،جامعة محمد بوضياف،المسيلة،الجزائر،2019م،2020م،ص14.

أما ماركسMarx فقد حول مفهوم الاغتراب من معناه الفلسفي عند هيغل، إلى نظرية اقتصادية واجتماعية، ليضفي على دراسة الاغتراب بعدا ماديا من خلال نقد وتحليل المجتمع البرجوازي الرأسمالي، ومن خلال كتاب (مخطوطات بلويسية 1944). ميز ماركس Marx أربع طرق يقوم عليها الاغتراب. وهي: "الاغتراب عن ناتج العمل، الاغتراب عن العمل ذاته، الاغتراب عن الآخرين، الاغتراب عن النوع الإنساني"[1]. ويذهب استخدام ماركس Marx تعبير (اغتراب الذات) إلى معنيين: الأول:"أن عمل الإنسان هو حياته، وأن نتاجه هو حياته في شكل متموضع، ومن ثم فإنه عندما يغترب عنه، فإن ذاته تغترب عنه أيضا" أما المعنى الثاني فيشير إلى أن"انفصال الإنسان عن حياته الإنسانية الحقة أو الطبيعة الجوهرية..."[2]وبهذا المعنى فإن ماركس يرى أن الاغتراب عن الذات هو تخلي الإنسان عن مبادئه الإنسانية.

واتفق إميل دوركايم (Emile Durkheim) مع ماركس في أن"الاغتراب انبثق عن التحولات الاقتصادية التي طرأت على المجتمع بصورة فجائية وأدت إلى قلق الفرد وبؤسه في مجتمعه..."[3] لتصبح المجتمعات قائمة على" التناقض بين حاجات الفرد وإمكاناته من ناحية، ثم على فقدان المعايير الأخلاقية في مثل هذه المجتمعات من ناحية أخرى..."[4] وهذا بدوره ما يؤدي إلى تدهور حالة الإنسان النفسية وإحساسه بالعزلة وعدم القدرة على التكيف مع ظروف الحياة الاجتماعية، ليؤكد أن سبب هذه الظاهرة يعود إلى البعد عن التعاون الاجتماعي، وسيادة الأنا.

والواقع أن: "العديد من المفكرين الأوروبيين المعاصرين تعاملوا مع مفهوم الاغتراب، كل حسب منظوره، في حين تناولها (أريك فروم) من زاوية تكوين الشخصية"[5]. ليرى فروم Fromm أن الاغتراب هو"كل ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكمة فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته..."[6] لنلاحظ أن فروم Fromm حصر الاغتراب في زاوية تكوين الشخصية، ونسب تشكله إلى فقدان سيطرة المغترب نتيجة انفصاله عن عالمه، مما يؤدي إلى تدهور حالته النفسية.

---

[1] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي، ص28.

[2] ميساء نبيل عبد الحميد :الغربة و الاغتراب في روايات{غائب طعمة فرمان}، الرابط الإلكتروني : www.alnaked_aliraqi.com.

[3] ابن باجة و فلسفة الاغتراب .ص81.

[4] ريتشارد شاخت :الاغتراب،تر:كامل يوسف حسين،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط1،بيروت،1980،ص160،

[5] قيس النوري،الاغتراب_اصطلاحا و مفهوما واقعا ،مجلة عالم الفكر،عدد1، 1979،ص28،27.

[6] سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع هجري ،ص19.

ونجد فويرباخ Feuerbach يذهب إلى وصف الاغتراب بأنه: "حالة فقدان الوجود الأصيل"[1]. فيعالج قضية الاغتراب من خلال نقده للدين، ويتناول هذه القضية من جانبها السلبي.

نذهب أيضا إلى فريدريك شيللر، الفيلسوف الألماني الذي لم يستعمل مصطلح الاغتراب لكنه"تحدث عمن عاشوا تجربة الغربة بسبب ظروف معينة، ليذهب إلى أن هناك اختلاف بين وضع الإنسان (في الزمن) وطبيعته الجوهرية الحقة"[2].

وفي ضوء ما عرض من دلالات الاغتراب اللغوية والإصطلاحية، نلمس اختلافا واضحا في الآراء ووجهات النظر، لكن على العموم تم الاتفاق على معنيين أساسين ألا وهما:

على المستوى اللغوي: أن الاغتراب هو الابتعاد والتنحي... أما على المستوى الاصطلاحي، فكان المعنى يذهب إلى أنه: "حالة داخلية، تشير إلى معاناة نفسية لشعور باطني، وفي داخل ذات الإنسان وهي ذات طابع شمولي"[3].

ومن هنا تختلف وتعدد مفاهيم الاغتراب وتعريفاته، فيحصر بهذا التعريف في خانة التنحي، وقد يكون حالة تعيشها وتحسها ذات الإنسان وتعانيها.

ثانيا_الاغتراب في الأدب العربي قديما وحديثا:

الاغتراب ظاهرة إنسانية وجدت بوجود الإنسان، فمر هذا المصطلح بعدة مراحل قبل وصوله لظاهرة لها أبعادها ونظرياتها التي تقوم عليها. بالرغم من أنه اعتبر من المفاهيم الفكرية المعاصرة، لكن نجد: "جذوره ضاربة في القدم، إذ نجده في الكتابات الفلسفية، واللاهوتية القديمة،كذلك عند فلاسفة الإغريق القدامى.

يعتبر هيجل: Higel(1770_1831) الأب الروحي للإغتراب وأول مستخدم لمصطلح الاغتراب ومن قام بتبسيط القول فيه فقد "استخدم مصطلح الاغتراب استخداما منهجيا منظما..."[4] يعتبر هذا الأخير أهم رواد الاغتراب، لكن عندما نعود إلى جذوره التاريخية القديمة فنجده في الكتابات اللاهوتية الأولى "العودة بظاهرة الاغتراب إلى جذورها التاريخية في أفكار العهد القديم، وخاصة في "سفر التكوين" Genesis. في بداية خلق آدم.

[1] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،ص26.

[2] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،ص22.

[3] ميساء نبيل عبد الحميد:الغربة و الاغتراب في روايات {غائب طعمة فرمان} www.alnaked-aliraqi.net

[4] لزهر مساعدية:نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،ص24.

وانفصال وتشكل حواء من أحد ضلوعه، ثم هبوطها إلى أسفل السافلين_الأرض_/.../أما ثاني انفصال فيكمن في هبوط آدم من الجنة إلى الأرض، وهو أول اغتراب عن الله فقد عصى آدم ربه فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها"[1].

أما عن ظهوره في مختلف الأعمال و العلوم فقد كان في "العلوم الاجتماعية عام 1935م، وبدأ بالتجلي في الأعمال الكلاسيكية السيكولوجية في أواخر القرن 19م، ومع نقاد المجتمع أمثال "هربرت ماركيوز وإريك فروم وماز وغيرهم. ولم يتم تداوله كظاهرة لها أبعادها ونظرياتها إلا في أوائل القرن 20م، على يد كارل ماركس والأديب الفيلسوف الوجودي"جون بول سارتر" الذي صور الوجود صورة من الألم والغيثان..."[2].

استخدم مصطلح الاغتراب في مختلف مناحي الحياة المختلفة ووضع في شتى المجالات، لكن كما أشرف سابقا إلى أن هيغل أول من نظر لهذا المصطلح في كتابه المعنون(: فينومينولوجيا الروح عام1807) وقسمه في شقين: سلبي وإيجابي...فاستخدم قبله وبعده الكثير من الأدباء والفلاسفة، والباحثون في مختلف العلوم الاجتماعية والسلوكية. "اعتبر (محمود رجب 1988) أن هيغل اهتم في معظم مؤلفاته بمصطلح الاغتراب حتى أطلق عليه أبو الاغتراب، ويعتبر كل من معاذ (أنور 2003، والشحماني2003) "هيغل" رائدا في مجال الكتابة عن الاغتراب"[3]... فأول ظهور لهذا المصطلح بصيغته الفلسفية كان على يد هيغلHigel.

أما عن نشأة الاغتراب وظهوره في الفكر العربي نجد:

فعند البحث في الخلفية التاريخية لمفهوم الاغتراب. نجد الكتابات الفلسفية تطرقت إليه منذ القدم. ووجد ذلك في "الفكر اليوناني القديم وخاصة عند سقراط (469_399ق.م) وأفلاطون (427_347ق.م) وأرسطو (364_322ق.م) حيث عاش ثلاثتهم مغتربين في مجتمعاتهم بحكم أفكارهم الفنية بروح التغيير والثائرة على

[1]لزهر مساعدية:نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،ص16،15.

[2]سماح بن خروف:الاغتراب في رواية كراف الخطاب_لعبد الله عيسى_،مذكرة ماجستير،تخصص أدب عربي حديث و معاصر ،إشراف محمد زرمان،جامعة الحاج لخضر ،باتنة،الجزائر،2011م_2012،ص17.

[3]منصور بن زاهي :الشعور بالاغتراب الوظيفي و علاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات _دراسة ميدانية بشركة سونطراك بالجنوب الجزائري_،تخصص علم النفس و تسيير الموارد البشرية،إشراف الهاشمي لوكيا ،جامعة منتوري_قسنطينة_،قسنطينة،الجزائر،2006م،2007،ص16.

الأوضاع الفكرية السائدة آنذاك..."[1] فهيغل هو الأب الروحي للإغتراب وظهر هذا المصطلح صحيح على يده إلا أنه ليس أول من ذهب إلى هذه الظاهرة، بل سبقته اليونان، والدراسات اليونانية أولت أهمية ودراسات تثبت أنها تطرقت إلى الاغتراب قبل هيغل Higel . ودليل ذلك ما وجد عند **سقراط، أفلاطون، أرسطو.**

أما عند العرب فأنسبوا ظهور الاغتراب إلى نزول آدم عليه السلام إلى الأرض واعتبروه أول مغترب.

فالاغتراب قديم قدم الإنسان، جذوره ممتدة في القديم وظهر هذا الأخير بصفة واضحة في الدراسات الحديثة، وهذا ما سوف نتطرق إليه في الجزء التطبيقي الخاص بهذه الدراسة.

أ_الاغتراب في الشعر القديم:

الشعر يعتبر المعبر الأول عن أفكار صدق أحاسيس الشاعر، وترجمة آلامه وهمومه، واصفا خلجات نفسه عاكسا تصرفاته، وقد عكس الشعر على مدار العصور نكبات الاغتراب التي عانى منها الكثير من الشعراء، هذا الاغتراب الذي يحمل بين طياته معنى حنين الشاعر إلى وطنه.

وقد وقع اختلاف في مفهوم الوطن بدءا من العصور القديمة إلى العصور الحديثة. فقد كان مفهوم الوطن في القديم" ضيقا يشمل الحي ومحل الإقامة ثم صار يتسع كلما تقدم الزمن"[2].ليستوطن ذكر الوطن الكثير من الأشعار القديمة... "ففي الجاهلية قال امرؤ القيس:

وما جبنت خيلي و لكن تذكرت مرابطها من بربعيص وميسرا

ويقول عنترة:

أحرقتني نار الجوى و البعاد بعد فقد الأوطان و الأولاد

ويقول طرفة:

على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائص ترعد[3]

[1] هني كريمة :شخصيات كاتب ياسين بين الانتماء و الاغتراب مسرحية "الجثة المطوقة"أنموذجا،رسالة ماجستير،تخصص الفنون الدرامية،إشراف ميراث العيد،جامعة السانيا،وهران ،الجزائر،2011م_2012م،ص20.

[2] يحي الجبوري:الحنين و الغربة في الشعر العربي_الحنين إلى الأوطان_،ط1،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع،عمان ،الأردن، 2008م،ص10.

[3] يحي الجبوري:الحنين و الغربة في الشعر العربي_الحنين إلى الأوطان_،ص10.

الاغتراب في الجاهلية:

ورد الاغتراب في الجاهلية بمعنى "النوى والبعد عن الوطن، فقد أودع الشعراء الجاهليون شعرهم خلاصة ذكرياتهم عن أوطانهم، وحنينهم إليها، فالعربي بطبيعته دائم التنقل والرحيل، سعيا وراء الماء والكلأ، وقد جسد الشاعر الجاهلي هذا المفهوم في مطلع قصائده..."[1] لنجده يحن إلى وطنه ويبوح عن مشاعر موحشة تخنق آماله وأحلامه، وقد برزت في مقدمة قصائد الجاهليين الحديث عن الأطلال، ويجسد ذلك "بصورة واضحة الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص في مقدمة معلقته:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب
وبدلت منهم وحوشا وغيرت حالها الخطوب
إن يكن حال أجمعوها فلا بدى و لا عجب
أو يك أقفر منها جوها وعادها المحل و الجدوب
فكل ذي نعمة مخلوس و كل ذي أمل مكتوب[2]

ليعبر عبيد بن الأبرص من خلال هذه الأبيات عن مدى إحساسه بالضياع والاغتراب... امرئ القيس أيضا أحد أهم الشعراء الذين عانوا الاغتراب، بعدما رفض والده قوله للشعر، ليبتعد عن بيت أهله مغضوبا عليه فيقول:

تذكرت أهلي الصالحين و قد أتت على حملي خوص الركاب و أوجرا
فلما بدت حوران في الآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
تقطع أسباب اللبانة و الهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

نلاحظ من خلال هذه الأبيات سوء حالة الشاعر عند هجر أهله وإحساسه بمكانتهم، فيبعث فينا الشعور باغترابه وآلام البعد عن العائلة،"وقد ذهب إلى ملك الروم كي يتحالف معه ليسترد ملكه المضاع، ويأخذ ثأر أبيه، غير أنه لم يلبث أن أحس بعناصر الغربة عن وطنه، ومكونات الاغتراب النفسي في ذاته، فقال هذه الأبيات

[1] مها روحي ابراهيم الخليلي :الحنين و الغربة في الشعر الأندلسي"عصر سيادة غرناطة:635_897هـ"،رسالة ماجستير،إشراف وائل أبو صالح،كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية،نابلس،فلسطين،2007م،ص26.

[2] أبو عبد الله بن أحمد الزوزني:شرح المعلقات العشر،ط2،دار الجيل للنشر و التوزيع،بيروت،1972،ص167.

وسواها من الأبيات الأخرى التي من شأنها أن تكون سببا للكشف عن مكوناته الداخلية التي يحس بها"[1].

نجد أيضا لبيد بن ربيعة الذي توقف في معلقته على "مشاهد الذكرى الطلالية فيقول:

عفـــت الـــديار محلهـــا فمقامهـــا بمـــنى تأبـــد غولهـــا فرجامهـــا

فمـــدافع الريـــان عـــري رسمهـــا خلقـــا كمـــا ضـــمن الـــوحي ســـلامها

دمـــن تجـــرم بعـــد عهـــد أنيســـها حجـــج خلـــون حلالهـــا و حرامهـــا

رزقـــت مرابيـــع النجـــوم، وصـــابها ودق الرواعـــد جودهـــا فرهامهـــا[2]

ليرسم لبيد من خلال قوله هذا صورة أماكن الأطلال، وما حل بها بعد فراق أهلها وأحبابها. وقد تبنى طرفة بن العيد لونا آخر من ألوان الاغتراب في الشعر الجاهلي، المتمثل في الاغتراب عن المجتمع، الناتج عن ظروف قاسية وظلم واستبداد عانى منهم، ليتمرد ويثور ضد مجتمعه.قائلا في ذلك:

"وظلـــم ذوي قـــربى أشـــد مضاضـــة علـــي المـــرء مـــن وقـــع الحســـام المهنـــد"[3]

والجاهلي لا يغادر أرضه مادام "فيها عزيزا،فإن شعر بالظلم والذلة غادرها رغم اعتزازه بها وحنينه إليها، وقد عبر عن ذلك أوس بن حجر(2ق.هـ)، حيث يقول:

أقـــيم بـــدار الحـــزم مـــا دام حزمهـــا و أحـــر إذا حالـــت بـــأن أتحـــولا

و أســـتبدل الأمـــر القـــوي بغـــيره إذا عقـــد مـــأفون الرجـــال تحلـــلا[4]

وقد برز الاغتراب عن المجتمع أيضا عند الصعاليك، منهم من فرض عليه نتيجة انزياحه عن قوانين قبيلته، فينبذ ويطرد، ومنهم من اختار هذا الاغتراب بإراداته التامة، ويعد السبب الرئيسي لاغترابهم الجوع والفقر والتشرد.

نجد مثلا "السليك بن سلكه يحدثنا عن بعض شعره كيف كان يغمى عليه من الجوع في شهور الصيف حتى يشرف عليه الموت والهلاك:

ومـــا نلتهـــا حـــتى تصـــعلكت حقبـــة و كـــدت لأســـباب المنيـــة أعـــرف

وحـــتى رأيـــت الجـــوع بالصـــيف ضـــربني إذا قمـــت تغشـــاني ظـــلال فأســـدف[5]

[1] آمال عبد المنعم الحراريس:ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية و الإسلام ،أطروحة دكتوراه،إشراف أحمد الزعبي، كلية الدراسات العليا،2016م،ص12.

[2] حسن جعفر نور الدين:لبيد بن ربيعة العامري_حياته و شعره_،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1990،ص115.

[3] أبو عبد الله بن أحمد الزوزني:شرح المعلقات العشر،ط1،دار الفكر،بيروت،لبنان،2005م،ص23.

[4] يحي الجبوري :الحنين و الغربة في الشعر العربي_الحنين إلى الأوطان ،ص21.

[5] يوسف خليل :شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،دار المعارف،مكتبة الدراسات الأدبية،ط3،(د،ت)،ص29_30.

لنجد فئة أخرى من الصعاليك، اختارت الابتعاد عن كل ما هو عالم إنساني، فلم تغترب عن قبيلتها فقط، بل "هجرت الإنسان إلى الصحراء البعيدة الواسعة، إلى عالم الحيوان والوحوش، وهناك صاحبته الوحوش وأنست بها، يقول تأبط شرا واصفا نفسه:

يبيت بمغنى الوحش على ألفته ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

رأيت فتى لا صيد وحش يهمه فلو صافحت إنسا لصافحته معا[1]

فقد تعايش تأبط شرا مع عالم الوحوش، وعاشره وتأقلم معه، نتيجة ما وجده من أمان متبادل بينه والحيوانات.

وعن طريق "البطولة والفروسية والمغامرة والمخاطرة، استطاع الصعلوك أن يتغلب على اغترابه، وأن تحقق نوعا من الكمال، عوض به عن وحدته مع مجتمعه التي افتقدها، وعن طريق المغامرة أيضا، غير الصعلوك وجوده، فتغير وحظي بنفسه.

و من أشعار الصعاليك التي تتحدث عن المغامرة والفروسية، قول تأبط شرا:

متى تبغي ما دمت حيا مسلما تجدني مع المسترعل المتبهل

ويتحدث الشنفرى عن شجاعته وجرأته فيقول:

و إني إذا خام الجبان عن الردى فلي حيث يخشى أن يجاوز مخسف[2]

لنجد الصعلوك يحصر نفسه في خانة الشجاعة وعدم الانكسار ومواجهة الصعاب، من أجل أن يتخلص من معاناة الوحدة والاغتراب، وقد وصل الأمر بالشنفرى إلى اللامبالاة بالموت، فيقول:

إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها و لم تذر خالاتي الدموع و عمتي[3]

فالصعلوك كان متيقن من أنه على درب الموت، فاختار أن يغامر حتى ينتصر أو يفارق الحياة، ليسعى إلى تحقيق ذاته مهما كلفه الأمر.

- **الغربة والاغتراب في الإسلام:**

برز معنى الاغتراب في الشعر في العصر الإسلامي بشكل ضخم، نتيجة الخروج من شبه الجزيرة العربية إلى مختلف الاتجاهات، وبدء الفتوحات، ليكشفوا لونا آخر للحياة غريبا عما اعتادوه، فلم يتمكنوا من الاندماج

[1] سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري ،ص79.

[2] سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري ،ص76.

[3] سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري ،ص77.

بسهولة، وضاقوا مرارة الغربة والإحساس بالضياع، ليعبر هؤلاء الشعراء من خلال شعرهم عن مدى شوقهم لوطنهم وتمنيهم الرجوع واللقاء. يقول أحدهم في شكواه غربته إلى قمرية:[1]

"أقمريـــة الـــوادي الـــتي خـــان إلفهـــا مـــن الـــدهر أحـــداث أتـــت و خطـــوب
تعـــالي أطارحـــك البكـــاء فإننـــا كلانـــا بمـــرو الشـــاهجات غريـــب"

يشكو الشاعر من خلال هذين البيتين غربته للطيور، ويتقاسم معها آلام الشعور بالوحدة... ولقد جسد ابن حيان من خلال شعره مدى غربته النفسية، والاجتماعية، والفكرية عن المجتمع من خلال تجربته المتمثلة في غربته واغترابه، فيلجأ إلى الإله الحق كامل الانصاف. ويقول:

"إن الغريـــــــب بحيـــــــث مـــــا حطـــــت ركائبـــــه ذليـــــل
و يـــــد الغريـــــب قصـــــيرة و لســـــانه أبـــــدا كليـــــل
و النـــــاس ينصـــــر بعضـــــهم بعضـــــا و ناصـــــره قليـــــل"[2]

ليعطينا أبي حيان من خلال هذا وصفا لسوء حالته وتقيده، وضياع حقه في غربته الموحشة. والجدير بالذكر أن "الاغتراب في الفتوحات لا يعكس البعد عن القبيلة ومضاربها، بل هو بعد عن الجزيرة العربية ككل، وعن ناسها وطبيعتها ومناخها ونمط العيش فيها، فلنسمع إلى أحد الفاتحين تستبد به الشوق إلى أرض الحجاز وبالضبط"نجد"، فتنحدر دموعه بتذكرها، فهو يقول:

"أكـــرر طـــرفي نحـــو نجـــد و أنـــني إليـــه و إن لم يـــدرك الطـــرف أنظـــر
حنينـــا إلى أرض كـــان ترابهـــا إذا مطـــرت عـــود و مســـك و عنـــبر
أحـــن إلى أرض الحجـــاز و حـــاجتي خيـــام بنجـــد دونهـــا الطـــرف يقصـــر
أفي كـــل يـــوم نظـــرة ثم عـــبرة بعينيـــك مجـــرى مائهـــا يتحـــدر
مـــتى يســـتريح القلـــب إمـــا مجـــاو بحـــرب و إمـــا نـــازح يتـــذكر"[3]

لتعكس هذه الأبيات مشاعر الشاعر الجياشة نحو مسقط رأسه"نجد"، ومدى شوقه وحنينه لرؤيتها التمتع بسحر مناظرها.

[1] ياقوت الحمودي:معجم البلدان، ج5،ص114.
[2] التوحيدي،أبو حيان،الإشارات الإلاهية،ص13.
[3] حياة بوعافية :الاغتراب في شعر أبي علاء المعري_دراسة موضوعاتية فنية_رسالة ماجستير،تخصص لغة عربية، إشراف: مصطفى البشير قط، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،المسيلة، الجزائر،2008_2009م،ص26.

ويضيق شاعر آخر بغربته "في أرض تختلف في طبيعتها ومناخها عن نجد، وبين أناس غرباء لا يتكلمون لغته، فيتشوق إلى تراب نجد وإلى برودة رياحها، وكل شيء فيها، ولكنه شوق فيه كآبة وحسرة ويأس:

أتبكـــي علـــى نجـــد و ريـــا و لـــن تـــرى بعينيـــك ريـــا مـــا حييـــت و لا نجـــدا
و لا مشـــرفا مـــا عشـــت أقفـــار و جـــرة و لا واطئـــا مـــن تـــرجهن ثـــرى جعـــدا
تبـــدلت مـــن ريـــا و جـــارات بيتهـــا قـــرى نبطيـــات يســـمينني مـــردا
ألا أيهـــا الـــبرق الـــذي بـــات يرتقـــي و يجلـــو دجـــى الظلمـــاء ذكـــرتني نجـــدا
ألم تـــر أن الليـــل يقصـــر طولـــه بنجـــد و تـــزداد الريـــاح بـــه بـــردا؟[1]"

هذه مجموعة الأشعار الوجدانية التي حملت بين أضلعها مشاعر وأحاسيس الشاعر الجاهلي بمصداقية تامة تترجم ظروفه ومعاناته، ليعبر من خلال شعر الأطلال والحنين على مدى شوقه لقبيلته وأحبته، لتحل هذه الأشعار محل المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي.

-الاغتراب في الشعر الأموي:

يتغير الوضع في العصر الأموي"حين نشأ في مناطق الفتوحات الإسلامية كالشام ومصر والعراق وبلاد الري وخراسان وغيرها، جيل جديد من العرب، لم يعد يرى نفسه غريبا، بل اعتبر تلك البلاد بلاده، فتأثر بحضارتها، واستطاع أن يندمج مع سكانها الأصليين، وأن يتلاءم مع نمط الحياة فيها"[2]، لتتغير حياة العرب من المعيشة البدوية الهادئة والبسيطة،إلى حياة أخرى بمدينة جديدة وعالم مختلف تطغو عليه القيم الحضارية، على اختلاف البادية الذين تمسكوا بحنينهم إلى قبائلهم ونمط الحياة القديم، بالرغم من مغريات المدينة إلا أنهم لم يندمجوا وعانوا مرارة الغربة ..."ومن أصدق الأشعار التي تعبر وتوضح ما ذهبنا إليه، تلك الأبيات التي قالتها أم حسام لما تزوجت بعبد الله بن إسحاق الجعفري، فنقلت من البادية إلى المدينة،فظلت بذلك تقارن بين المكانين وتشتاق للمكان الأول_البادية_"[3] فتقول:

أقـــــول لأدنى صـــــاحبي أســـــره وللعـــين دمـــع يجـــدر الكحـــل ســـاحبه
لعمـــري لنهـــي بـــاللوى نـــازح القـــذى نقـــي النـــواحي غـــير طـــرف مشـــاربه
بـــأجراع ممـــراع كـــأن رياحـــه ســـحاب مـــن الكـــافور و المســـك شـــائبه
أحـــب إلينـــا مـــن صـــهاريج ملئـــت إذا هضـــبته بـــالعيش هواضـــبه[4]"

[1] سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص83_84.
[2] سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري ،ص84.
[3] حياة بوعافية :الاغتراب في شعر أبي علاء المعري_دراسة موضوعاتية فنية ،ص28.
[4] فاطمة محمد حميد السويدي :الاغتراب في الشعر الأموي،ط1،مكتبة مدبولي،1997،ص17.

فبالرغم من عيشها حياة كريمة بعزها وجاهها، إلا أن الحضارة أفسدت طمأنينتها، وألهبت نار الشوق في صدرها، متمنية العودة إلى ديارها وحياتها السابقة.

وفي هذا السياق نجد ابن ميادة، وهو في الشام بين يدي الوليد بن يزيد، الذي أكرمه وأعزه وأجله، إلا أنه بقي مشتاقا للعودة إلى "نجد"، ليخاطب الوليد قائلا:

"لعمـــــــرك إني نـــــــازل بأبـــــــاين لصـــوءر مشـــتاق و إن كنـــت مكرمـــا
أبيـــت كـــأني أرمـــد العـــين ســـاهر إذا بـــات أصـــحابي مـــن الليـــل نومـــا[1]"

لنستنبط من هذه الأبيات وما سبقها مدى تمسك الشعراء بثقافتهم القديمة، والتغني بحبها والحنين إليها في ظل عالم أرقى وأفضل.

وقد تطور شعر الغربة في العصر الأموي أيضا نتيجة ظهور ألوان جديدة، منها: "غربة النفي والسجن وذلك بسبب اضطراب الأوضاع السياسية في الدولة الأموية، فقد أصبح النفي سلاحا حادا في يد حكام بني أمية تجاه خصومها ومعارضيها، مما يعني غربة من وقع عليه هذا النفي ومن هؤلاء الشعراء أبو قطيفة، حيث نفي من المدينة إلى الشام، وفي ذلك يقول:

أقـــر مـــني الســـلام إن جئـــت قـــومي وقليـــــل لهـــــم لـــــدي الســـــلام
أقطـــــع الليـــــل كلـــــه باكتئـــــاب وزفـــــير فمـــــا أكـــــاد أنـــــام
نحـــو قـــومي إذ فرقـــت بيننـــا الـــدار و حـــادت عـــن قصـــدها الأحـــلام[2]"

ليعيش أبو قطيفية مأساة دائمة ومعاناة مريرة،تأخذ من جفنه النوم،فقد عبر من خلال هذه الأبيات عن مدى قهره و ضياعه و إحساسه بالاغتراب عن الوطن و القوم.

وخير ما يجسد غربة السجن، معاناة الشاعر العرجي في سجن لم يخرج منه إلا وهو ميت، فعانى لمدة 9 سنوات، وقاسى أشد أنواع الآلام النفسية والجسدية، ليزود معارفنا بأبيات من الشعر قبل وفاته تقول:

"أضـــــاعوني و أي فـــــتى أضـــــاعوا ليـــــوم كريهـــــة و ســـــدا ثغـــــر
و صـــــبر عنـــــد معـــــترك المنايـــــا وقـــــد شـــــرعت أســـــنتها بنحـــــري
أجـــــرر في الجوامـــــع كـــــل يـــــوم فيـــــالله مظلمـــــتي و صـــــبري

[1]سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص85.
[2]مها روحي ابراهيم الخليلي :الحنين و الغربة في الشعر الأندلسي ،ص29.

كـــأني لم أكـــن فـــيهم وســـيطا و لم تـــك نســـبتي في آل عمـــرو[1]"

الاغتراب في الشعر العباسي:

أما في العصر العباسي فقد خلقت العديد من العوامل التي تركت بصمتها على الاغتراب في هذا العصر،منها تطور الأوضاع السياسية،حيث "نكل العباسيون بإتباع الدولة الأموية، ولعل خير من يمثل هذه الغربة في العصر العباسي الشاعر المتنبي الذي عانى من غربة نفسية، حيث شبه غربته بغربة الأنبياء فيقول:

مـــا مقاســـي بـــأرض نخلـــة إلا كمقـــام المســـيح بـــين اليهـــود

أنـــا في أمـــة تـــداركها الله غريـــب كصـــالح في ثمـــود[2]"

ويقول:

"مغـــاني الشـــعب طيبـــا في المغـــاني بمنزلـــة الربيـــع مـــن الـــزمن[3]"

ليشكو من غربته وقسوتها وهو ببلاد فارس، غربة الوجه واليد واللسان، فقد تحدث المتنبي عن اغترابه طويلا نتيجة تنقله إلى أكثر من مكان مما أفسد راحته وأمانه.

وفي هذا السياق يقول أيضا:

"مـــا اليـــوم أول توديـــع ولا الثـــاني البـــين أكثـــر مـــن شـــوقي و أحـــزاني[4]"

أما الشاعر أبو علاء المعري فقد أدى اغترابه و بعده عن أحبابه وماعاشه من آلام إلى عماه، فيقول:

"ردنـــا مـــاء دجلـــة خـــير مـــاء وزرنـــا أشـــرف الشـــجر النخـــيلا

وزلنـــا بالغليـــل و مـــا اشـــتفينا وغايـــة كـــل شـــيء أن يـــزولا

ولـــو لم ألـــق غـــيرك في اغـــترابي لكـــان لقـــاؤك الحـــظ الجـــزيلا[5]"

هذه الأبيات تبعث فينا الإحساس بما عاشه الشعراء من أوجاع، على قدر ما نلمس فيها من صدق كلماتهم .

[1] سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص91.

[2] سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص91.

[3] أبو الطيب المتنبي ،الديوان،دار الجيل للنشر،بيروت،دط،ص541.

[4] يحيى الجبوري:الحنين و الغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008، ص109.

[5] أبو العلاء المعري ،سقط الزند،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1، 1990،ص290.

وأدت طبيعة التطور الحضاري إلى تغيير على مستوى مفهوم الاغتراب عن الوطن، الذي اقترن بمعنى الاغتراب عن المدينة التي يحاول الإنسان العيش فيها والتأقلم معها ...لنجد هنا "مطيع بن إياس" أحد الشعراء الذين عبروا عن مدى شوقهم لمدينتهم.فيقول:

"أســـــعداني يـــــا نخلـــــتي حلـــــوان و ابكيـــاني مـــن ريـــب هـــذا الزمـــان
و اعلمـــــا أن ريبـــــه لم يـــــزل يـــــف رق بـــــــين الآلاف و الحـــــــيران
و لعمـــــري لـــــو ذقتمـــــا ألم الفرقـــــة أبكاكمـــــــا الـــــــذي أبكـــــــاني
كـــــم رمتـــــني صـــــروف هـــــذه الليـــــالي بفـــــــراق الأحبـــــــاب و الخـــــــلان[1]"

لنلمس في هذه الأبيات مدى ألمه المتواصل اتجاه أرضه و أحبابه،و شوقه الدائم لهم.أما "أبو تمام"،"فيعلن أن الاغتراب قد تملك جسده، وأن الدهر مصر على أن يفرق بينه وبين وطنه وإخوانه، فكلما اتخذ وطنا غربه الدهر، ولهذا فهو دائم التوديع ودائم الأحزان والآلام وفي شوق مستمر، فيقول:

"مـــــا اليـــــوم أول توديـــــع و لا الثـــــاني البـــــين أكثـــــر مـــــن شـــــوقي و أحـــــزاني
دع الفـــــراق فـــــإن الـــــدهر ســـــاعده فصـــــار أملـــــك مـــــن ورقـــــي بجثمـــــاني[2]"

من هنا إلى تجربة الانفصال عن المجتمع، والتي عاشها الكثير من شعراء العصر العباسي،"وقد ساعد على نمو هذه الظاهرة واتساعها، ما اتسم به هذا العصر من اضطرابات وصراعات، صراع على السلطة، وصراع بين المذاهب وصراع بين الأجناس، إذ لم يعد العنصر العربي هو العنصر الوحيد الذي بيده مقاليد الأمور، بل شاركه في ذلك الوافد الأجنبي، وخاصة الفرس،إضافة إلى ما شاع في هذا العصر،من فساد خلقي و طغيان سياسي وتفـــاوت طبقـــي"[3]. ليزيـــد هـــذا مـــن حـــدة إحســـاس الشـــاعر بالمحاصـــرة والضـــياع. و كان أبو نواس أحد الشعراء الذين عانوا هذا النوع من الاغتراب .فيقول:

"أرى الإخـــــوان في هجـــــر أقـــــاموا وخـــــان الخـــــل و افتقـــــد الـــــذمام[4]"

[1]أبو الفرج الأصفهاني:الأغاني،دار الكتب،(د،ط،د،ت)،ج13،ص331.
[2]حياة بوعافية:الاغتراب في شعر أبي علاء المعري_دراسة موضوعاتية فنية_ ،ص33.
[3]سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص94.
[4]سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص95.

فيعبر ابن نواس من خلال هذه الأبيات عن قلقه من انحطاط أخلاق أبناء عصره.

من خلال ما سبق فإن الاغتراب أخذ مساحة واسعة في الأشعار منذ فجر الشعر الجاهلي، عبر عنه الشعراء بصدق مشاعرهم وآلامهم، ووجهوا إلينا صرخاتهم وأفكارهم من خلال هذا الشعر.

ب_الاغتراب في الشعر العربي الحديث والمعاصر:

إن الاغتراب في الشعر العربي المعاصر يعبر عن "أزمة ذات وجهين: الأول يتصل بفقدان الهوية والانتماء، والثاني: العلاقة المتأزمة مع المجتمع، وكلاهما يؤديان إلى عزلة وضياع وتخبط لأبناء الوطن عامة، وللشعراء بوصفهم معبرين عن أحاسيس المجموع_خاصة، ولا تزال الأزمة مستمرة، لأن الإنسان العربي يعاني من مسببات عديدة لاغترابه، ولا يجد في الأفق حلالها"[1].

وقد مثلت المدينة جزءا من ضياع الشاعر، بما فيها من متناقضات لتقدم له التحضر والرفاهية، وتصدمه بقسوتها وحواجزها، ليدفع هذا الواقع الحضاري الشاعر رفضه والهروب منه والحنين إلى وطنه الهادئ والمريح. ومثالا على ذلك نجد الشاعر "جبران خليل جبران"، الذي رفض الحياة في نيويورك بجمال وسحر مناظرها واعتبرها مدينة قاسية، وحن إلى الراحة التي كان يعيشها بمسقط رأسه "لبنان" بين أحضان الطبيعة، فيقول:

"لـــــيس في الغابـــــات حـــــزن ... لا و لا فيهـــــــا الهمـــــــوم
فـــــإذا هـــــب نســـــيم ... لم تجـــــئ معـــــه الســـــموم
لـــــيس حـــــزن الـــــنفس إلا ... ظـــــل و هـــــم لا يـــــدوم
و غيـــــوم الـــــنفس تبـــــدو ... مـــــن ثناياهـــــا النجـــــوم
أعطـــــني النـــــاي و غـــــن ... فالغنـــــا يمحـــــو المحـــــن
و أنـــــين النـــــاي يبقـــــى ... بعـــــد أن يفـــــنى الـــــزمن[2]"

وقد بات "الاغتراب قضية وجودية إنسانية معاصرة، تجسد مقدار معاناة المثقف العربي الرافض والمتمرد على الواقع السياسي، الخانق للحريات، والاجتماعي المتمرد داخل وطنه، واتسمت ردود فعله بالانسحاب والهروب والهجرة، واختيار الغربة والاغتراب "[3].

[1] مصطفى عطية :إشكالية الاغتراب في الأدب العربي المعاصر، https://gate.ahram.org.eg.news.

[2] ميخائيل نعيمة:جبران خليل جبران،المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية،دار صادر،بيروت،ط1، 2002،ص203.

[3] لطيفة الأعكل :نزعة الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، 2 أفريل 2021، سا 12.39، الرابط الإلكتروني: https://manber.ch.

و على هذا السياق نجد قصيدة "غريب على الخليج"للسياب التي اعتبرت أول ما حوصل فكرة الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، لتعبر عن مدى معاناته في بعده عن العراق، ومدى شوقه إليها، فيقول:

"أعلى صوت من العباب يهدر رغوه و من
الضجيج
صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى،عراق
كالمد يصعد كالسحابة كالدموع إلى العيون
الريح تصرخ بي:عراق.
و الموج يعول بي :عراق،عراق ليس سوى عراق
البحر أوسع ما يكون و أنت أبعد ما تكون
و البحر دونك يا عراق[1]"

كرس السياب دواوينه في التعبير عن اغترابه، الذي شكل حياته ومعاناته في البعد عن العراق. ومدى شغفه في الرجوع إليها.

"ولقد اتخذ الشعراء الرواد مواقف متنوعة من المدينة تراوحت بين الرفض و القبول و التعاطف،كل بحسب الظروف التي نشأ فيها، وأشكال الاغتراب التي عانى منها "[2].

فالسياب شاب ريفي انتقل من قريته جيكور إلى مدينة كبيرة، عانى فيها الغربة الاجتماعية، ليبتعد عن مسقط رأسه الذي كان يمثل له كل معاني الجمال و البراءة إلى عالم جديد مختلف قتل فيه محاسن مدينته.فيقول:

طارت عصافير الربى حين غادرت كأن بتغريد العصافير مقتلي
رأيت بها شبها بدهر مجنح فأبغضت أشباه العدو المنكل
كأني به لما يمد جناحه يمد لأكباد الورى حد فيصل
ألا ليت عمل اليوم يزداد ساعة ليزداد عمر الوصل نظرة معجل[3]"

[1]لطيفة الأعكل:نزعة الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، https: //manber.ch.

[2]عبدو نبيلة،حابي جميلة :الاغتراب في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب_أنموذجا_،رسالة ليسانس،إشراف:بوعلام العوفي،كلية الآداب و اللغات،البويرة،الجزائر،ص30.

[3]بدر شاكر السياب:الديوان،دار العودة،بيروت،مج1،د،ط،1971،ص158.

كتبت هذه القصيدة تحت عنوان: "مساء الخير" لتحمل أبياتها غربة السياب النفسية، وقسوة الإحساس بالشوق والوداع لقريته، ومدى حزنه نتيجة فراقها والابتعاد عنها.

و يقول أيضا:

"و تلتف حولي دروب المدينة جبالا من الطين يمضغن قلبي
و يعطين عن جمرة فيه طينة جبالا من النار يجلدن عرى الحقول الحزينة
و يحرقن جيكور في قاع روحي ويزرعن فيها رماد الضغينة[1]"

هنا عبر السياب عن قسوة معاناة الاغتراب، مقارنا بين جيكور و المدينة، فتختلف رؤيته للحياة جراء هذه الأخيرة، التي وجد فيها عالما غير الذي عهده، وقيما غير التي عاش ملتزما بيها، ليستعمل في هذه الأبيات مفردات توضح حجم آلامه (جمرة، نار، رماد، ضغينة).

يقول أيضا:

"جلس الغريب، يسرح البصر المحير في الخليج
و يهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج
أعلى من العباب يهدر رغوه و من الضجيج
صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى:عراق[2]"

يعبر هنا السياب من خلال هذه الأبيات عن كل ما احتل قلبه من أحزان ودموع وآلام، واغترابه النفسي والاجتماعي، ليضيع في غربة موحشة واشياق لا منتهي لقريته وأهله.

وهنا نجد الشاعر يخاطب الطبيعة"كغيره من الشعراء الرومانسيين، فلعل الطبيعة تحول آلامه إلى ملاذ بعدما أرهقته المدينة و البعد عن الوطن وخاصة قريته جيكور.

أيها الثلج رحماك، إني غريب
في بلاد من البرد و الجوع سكرى

[1] بدر شاكر السياب:الديوان،ص414.
[2] بدر شاكر السياب:الديوان،ص317.

فالشاعر يخاطب الثلج و يستعطفه، للتخفيف من شدة حزنه و غترابه، فالثلج إلى جانب أنه عنصر من الطبيعة فهو كذلك رمز للسلام والسكينة والطمأنينة المفقودة في حياة الشاعر"[1]

حملت هذه الأبيات هموم الشاعر وواقعه المأساوي المتشبع بالآلام والضغوطات، بكلام صادق ومفردات حزينة تتشابه مع نفسيته.

يقول أيضا:

"على العكاز أسعى حين أسعى عاثر الخطوات
غريب غير نار الليل ما سواه من أحد
بلا مال بلا أمل يقطع قلبه أسفا[2]"

يعبر الليل عن عتمة مشاعره، فلم يجد سواه يواسي وحشة غربته، ليتبادل معه السياب ما حمل قلبه من مآسي.

كانت مشاعر السياب "تدفعه دائما إلى اتخاذ قرار العودة إلى العراق، ولم يجد في الكويت وطنا بديلا للعراق، وكانت دروب بغداد الصاخبة فيها تطبق على تفكيره، وجذوة النضال ضد الحكم الغاشم تستنفر كل كيانه/.../ فيقول:

ريف وراء الشط بين النخيل
يغفو على حكم طويل طويل
تثاءبت فيه ظلال تسيل
كالماء بين الماء و العشب
يا ليت لي فيه

[1] نبيلة عبدو، جميلة حابي : الاغتراب في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب _أنموذجا_، رسالة ليسانس، إشراف:العوفي بوعلام،جامعة أكلي محند أولحاج ، البويرة ، الجزائر، 2012، 201
3، ص40_41.

[2] بدر شاكر السياب :الديوان، ص371.

قـــــــــبرا علـــــــــى إحـــــــــدى روابيـــــــــه،
يـــــــا ليتـــــــني مـــــــا زلـــــــت في لعـــــــبي
في ريـــــــف جيكـــــــور الـــــــذي لا يميـــــــل
عنـــــــه الربيـــــــع الأبـــــــيض الأخضـــــــر
الســـــــهل ينـــــــدى و الـــــــربى تزهـــــــر
و يطفـــــــئ الأحـــــــلام في مقلـــــــتي
كأنهـــــــا منفضـــــــة للرمـــــــاد[1]"

يتغنى السياب من خلال هذه الأبيات بجمال قريته وروعتها وذكرياته فيها، وكم كانت تمثل مؤثرا إيجابيا يسعد نفسه ويهون أحزانه، فيتمنى لو أنه ما زال فيها.

فللماضي أثر مميز داخل وجدان الإنسان "لاسيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله، وأخذ الاغتراب بخناقه، فالماضي على وفق هذا التصور مرفأ يرتاده الشاعر فرارا من الألم والتماسا للراحة وإن كانت في الحلم والخيال. جيكور هي مرفأ سياب المريض، الفقير، المحروم، وهي مدينة الحلم التي عجز الزمن أن يمحوها من ذاكرته/.../ يقول الشاعر:

جيكـــــــور...ســـــــتولد جيكـــــــور
النـــــــور ســـــــيورق النـــــــور
جيكـــــــور ســـــــتولد مـــــــن جرحـــــــي
مـــــــن غصـــــــة مـــــــواتي مـــــــن نـــــــاري
ســـــــيفيض البيـــــــدر بـــــــالقمع
و الجـــــــرن سيضـــــــحك للصـــــــبح[2]"

فجيكور هي محور البراءة والنقاء بالنسبة للسياب، وجمال أزهارها وحقولها وعصافيرها لا يمكن للذاكرة أن تمحوه مهما ابتعد عنها.

وبالعودة إلى قصيدة "غريب على الخليج" نجده يقول:

"في الضـــفة الأخـــرى هنـــاك فحـــدثيني يـــا نقـــود

[1] وعد العسكري:الغربة و الحنين عند السياب، 3 أفريل 2021، سا 17:22، الرابط الإلكتروني: https://moharmedrabeea.net.
[2] وعد العسكري:الغربة و الحنين عند السياب.https: //moharmedrabeea.net.

مـــــــــتى أعـــــــــود، مـــــــــتى أعـــــــــود ؟
أتـــــراه يـــــأزق قبـــــل مـــــوتي، ذلـــــك اليـــــوم الســـــعيد[1]"

استعمل هنا السياب مفردة " النقود"، لتمثل المانع الذي يقف بين أمله ويأسه، وفي هذه القصيدة أيضا نلمح "ذلك الدفق الشاعري الذي يمثل في توارد الصور تباعا من صورة الطفولة والأم والحبيبة، وتصوير الحالة الاغترابية وحوائجها إلى أن يصل إلى نقطة تتحول فيه وتصبح مصابة بشيء من الانكسار:

ليـــــــــت الســـــــــفائن لا تقاضـــــــــي راكبيهـــــــــا
أو ليـــــــــت أن الأرض كـــــــــالأفق العـــــــــريض[2]"

فالسياب أجذ من قريته سفينة أحلامه، فعبر عن انكساره وشغفه بالرجوع إلى الوراء، والتلذذ والاستمتاع بذكريات الطفولة.

ج_الاغتراب في النثر العربي:

من أهم الفنون التي ظهر فيها الاغتراب فن الرواية، وبناءا على هذا سنحاول في هذا العنصر دراسة واستبطان ظاهرة من الظواهر التي برزت في الأدب بصفة واضحة خاصة في الرواية بأشكالها المختلفة ألا وهو الحس الاغترابي، وهذا الأخير استقل مكانة وحيزا كبيرا داخل الأعمال الأدبية نثرا وشعرا، سواء كانت هذه الأعمال غربية أو عربية أو ما حققت منها العالمية.

انعكست هذه الظاهرة على الأدب بصفته موضوعا بارزا فيه: "إذ أصبح من المألوف في الوقت الراهن بصورة متزايدة أن نسمع تفسير الحياة في عصرنا الحالي من خلال مفهوم الاغتراب..."[3] ذلك من خلال الرجوع إلى الأعمال الأدبية التي توضح وتلجأ إلى تقسيم المشاكل الاجتماعية والنفسية من خلال توظيف هذه الظاهرة، فيتم ذلك من خلال مفهوم الاغتراب. ونقل فكرة الأديب إلى مجتمعه والقارئ المتقصي لرواياته عن طريق مظاهر الاغتراب.

[1] بدر شاكر السياب:الديوان، ص323.

[2] عدلي الهواري :ملامح النأي و الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، 12 أفريل 2021، سا 22.35، الرابط الإلكتروني: https://www.oudnad.net.

[3] مريم جبر فريحات :{الحس الإغترابي في أعمال روائية لغسان كتفاني}،مجلة جامعة دمشق،مج26، ع03و04، 2010م،دمشق،سوريا،ص291.

هكذا ظهر الاغتراب كفكرة ضربت بأسبابها في الرواية "لقد انعكست هذه الظاهرة على الأدب بصفة عامة والرواية بصفة خاصة لما تحمله من خصوصيات، فهي ترجمة للإحساس والعواطف والأفكار ولهواجس الإنسان، وتعبيرا أصيلا عن خلجات النفوس، ومرآة عاكسة لتجارب الروائي الحزينة والمؤلمة، ولأن الرواية كانت ولا تزال تجسيدا أو استجابة إنسانية لرؤية العالم. فقد كانت أكثر صلة بهذه الظاهرة وأفصح في التعبير عنها. وأدق في تصويرها... فعد الاغتراب موضوعا بارزا فيها شأنه شأن مختلف أوجه النشاط الإنساني"[1].

الاغتراب هو المرآة العاكسة لكل ما في نفوس الناس من أحاسيس ومشاعر من حزن، ألم...وكل ما يمثل وجدان الإنسان. نتيجة الذات الضائعة التي تشعر بالقلق والخوف من فقدان الأمان في الحياة.

أصبح الاغتراب يشكل خطرا كبيرا في عصرنا الحالي... وبهذا ندرك أن "الاغتراب ظاهرة خطيرة خطورة أسبابها وانعكاساتها بسبب التحولات الحضارية المعقدة والأنظمة المتضاربة يصبح يحيا حياة الضياع والإحباط، القلق والتوتر اللاأمن، جميعها مظاهر برزت في الأعمال الروائية العربية، ومنها الجزائرية خاصة منها النسوية كروايات "فضيلة الفاروق"، "أحلام مستغانمي..."[2] ومنه نستنتج أن خطر الاغتراب عظيم أسبابه كثيرة ومتعددة، تدفع جميعها إلى التأليف وكتابة المجلدات من القصص والحكايات، كذلك الروايات... يخضع لها الأديب من خلال واقع مر وقاس لا طعم ولا حياة مناسبة له... نذكر كذلك من مظاهره العجز، اللامعنى، خلل المعايير، العزلة الاجتماعية، الانفصال عن الذات.

يعتبر الاغتراب من أهم أحد الروافد الهامة للفكر الإنساني، إذ أصبحت تقتحم وتفرض نفسها على الرواية العربية الحديثة والمعاصرة،حيث أطلق على هذه الدراسة والخاصية الاغتراب الأدبي. ولعل هذه أهم النماذج التي أختيرت من بعض الروايات العربية التي جسدت هذه الظاهرة بكل إتقان وإبداع أدبي وفني يخضع إلى جماليات الاغتراب في الرواية.

نذكر أولا: رواية "جبرا السفينة " و"ثرثرة فوق النيل" لنجيب محفوظ، الروائي الكبير من بين"روايات اللامواجهة التي تصور الإنسان في حالة اغتراب وهروب من الواقع بدلا من الكفاح والسعي لتغييره..."[3]

[1] فايزة طالب :{الإغتراب الروائي في الرواية الجزائرية المعاصرة ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي أنموذجا}،مجلة المفكر،مج04. ع01،جوان 2020،جامعة البليدة 2 علي بوليسي،البليدة،الجزائر،ص51.

[2] هنية مشقوق :{تجليات الحس الإغترابي في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح }،مجلة المخبر، ع7، 2014م،جامعة بسكرة،الجزائر،ص:478.

[3] حليم بركات :الإغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع ،ط01،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،2006م،ص149.

شخصيات ثرثرة فوق النيل وجبرا السفينة هاربة من الواقع.كذلك اعتبرت في فترات مختلفة أن رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح "تمثل رواية التمرد الفردي في محاولة يائسة للتغلب على حالة الاغتراب والنفي..."[1] بالبحث تبين لنا أن هناك العديد من النماذج الممثلة للحس الاغترابي والعاكسة لمفهوم الاغتراب "إلياذة والأودسية لـ "هوميروس" التي صورت اغتراب الإنسان المغترب وضعفه أمام الطبيعة وقواها، وجسد "هملت" الإنسان المغترب عن كل ما حوله وفي الرواية نجد شخصيات المغتربة عند "بلزاك"وفي الكوميديا البشرية وفي روايات ديكنز أوليفر توسيت وعناقيد الغضب"[2].

ارتأى الكثير من الباحثين إلى أن مفهوم الاغتراب تجسد في مختلف الأعمال الروائية، ووصف حال الإنسان وشخصيته واغترابه، الذي يعاني منه أمام الطبيعة التي يعيش فيها.

للإغتراب عدة أشكال ومواضيع مختلفة. نذكر منها: الاغتراب النفسي، الاغتراب الثقافي، الاغتراب الاجتماعي والسياسي. قد تناول الأدب هذا الموضوع ليعبر الأدباء فيه عن مشاكل الواقع ورفضهم له بشكل أو آخر. من الروايات نذكر "رواية الإنسان الصرصار" لستوفيسكي، الضحك لغالب هلسا، أعالي الخوف لمزاع البراري، حيث عالج فيها شخصيات تعاني كلها من حالات الاغتراب، جاءت بشكل مشاهد ولوحات تقوم على التناوب لتنتهي إلى الانغلاق.

كذلك نأخذ نموذج آخر "تعويذة العيفة" لتوفيق العلوي ..عبارة عن رواية كتبت للغوص داخل الشخصية بأسلوب سردي ترتكز على شخصية الإنسان في غربته وتحولاته الصعبة والمتناقضة في محنة الاغتراب.

أيضا سرادق الحلم والفجيعة "لعز الدين جلاوجي..."، "غربة المثقف الجزائري من خلال المواجهة بين البطل الروائي والمدينة غربة مذاقها مر، ومعاشرتها لا تورث إلا اغترابا، كما جسدت الاغتراب الفكري والسياسي من خلال المعاناة والهموم و المشكلات"[3].

فيكتسح الاغتراب بشتى أنواعه في الرواية أهم الأعمال وأكثرها تميزها، ويضيف عليها الإبداع والحضور .

[1] حليم بركات:الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع ،ص150.

[2] فطيمة صيد :الاغتراب في رواية "انكسار"ل محمد مفلاح،مذكرة ماستر ،تخصص أدب حديث و معاصر ،إشراف عبد القادر رحيم،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،الجزائر،2014م_2015م،ص23.

[3] سماح بن خروف :الإغتراب في رواية كراف الخطايا _لعبد الله عيسى ،ص74.

ثالثا_أبعاد الاغتراب و مظاهره:

نرى أنه قد اتفق الباحثين على العديد من مظاهر الاغتراب وأبعاده وقد "توصلوا إليها من خلال تحليل هذا المفهوم وإخضاعه للقياس وكان من أبرز هذه المحاولات ملفن سييمان (seeman1959/seeman1990) الذي أشار إلى خمسة أبعاد لمفهوم الاغتراب وهي: العجز، اللامعنى، اللامعيارية والعزلة الاجتماعية واغتراب الذات، كما جاء في دائرة المعارف البريطانية، هذه الأبعاد الخمسة بالإضافة إلى الغربة الثقافية ... Gultural estrangement وعالج باحثون آخرون مظاهر أخرى على أنها حالة من حالات الاغتراب كالانتحار، وفقدان الانتماء،و ازدياد الهوة بين الأجيال و التمرد، وتعاطي المخدرات.(حس حماد 1995،mahan1990،tiwana1987)"[1].

من خلال هذا نتطرق أولا إلى مفهوم الاغتراب عن الذات...

أولا_الاغتراب عن الذات self _estrangement:

حينما يحس الإنسان بالوحدة والغربة،كذلك العجز التام وانقطاع الروابط التي تربطه بينه وبين مجتمعه، يستلزم عليه السيطرة على هذا الإحساس، ولتحقيق ذلك هناك اتجاهين:

"الاتجاه الأول: يتجاوز فيه الإنسان واقعه ويتمسك بحريته، فيخلق لنفسه عالما جديدا يعبر عن قدراته الحسية والعقلية الأصلية..."[2] عندما لا يتوافق ما بداخل الإنسان مع الواقع المعاش فإنه هنا لا يرفض ويعارض حريته، بل العكس تماما يتمسك بها، ويخلق عالم خاص به وحده ليعبر فيه عن كل ما بوجدانه ومشاعره وقدراته سواء العقلية أو الحسية، دون أن يتنازل ذرة واحدة عن ذاته الأصلية.

أما **الإتجاه الثاني:**"فإذا لم يستطع الإنسان تحمل العيش وحيدا .فيستسلم ويخضع لسلطة هذا المجتمع سواء كانت سلطة سياسية، أم سلطة عادات وتقاليد وأخلاق سائدة فيه، ليتحول هذا الإنسان إلى آلة بشرية، ويتنازل تماما عن فرديته، فيصبح مغتربا عن ذاته الأصلية مكتسبا ذاتا جديدة زائفة _يمليها المجتمع_ويصبح بذلك متشيئا"[3].

[1] عبد اللطيف محمد خايفة :دراسات في سيكولوجية الإغتراب ،ط1،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،مصر،2003،ص35.
[2] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،ص101.
[3] لزهر مساعدية:الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،ص102.

أما عن الاتجاه الثاني في نظر لزهر مساعدية: هو الاستسلام والخضوع لسلطة المجتمع الذي يفرض الواقع على الإنسان عندما لا يستطيع العيش وحيدا... هنا يتحول ويصبح عبارة عن آلة بشرية، لا يمكنه ممارسة حريته الذاتية الخاصة به، وينتج عن ذلك الاغتراب الذاتي، لأنه اغترب عن ذاته الأصلية، ليتبع قواعد وقوانين المجتمع التي لا تناسبه خوفا من الوحدة وألمها.

نجد كذلك أن **سيمان** Seeman استمد "مفهوم الاغتراب عن الذات من كتاب إريك فروم "المجتمع السليم" حيث يعتبر ما كتبه فروم Frommمن أكثر البحوث دقة وعمقا عن الموضوع/.../ وعرف سيمان (seeman1990) الاغتراب عن الذات بأنه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه.

حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويحيا لكونه مستجيبا لما تقدم له الحياة دون تحقيق ما يريد من أهداف وعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافأة ذاتيا..."[1] نستنتج أن الاغتراب عن الذات يتمثل في عدم التواصل مع النفس، مما ينتج عن ذلك الاغتراب النفسي، حيث يشعر بالانفصال والابتعاد كل البعد عما يرغب في هذه الحياة التي تفرض الواقع المعاش.

ثانيا_العجز powerlessness:

كما نعرف أن العجز يعني عدم القدرة والاستطاعة على توجيه أو فعل شيء ما .لنجد أن العجز عند سيمان Seeman "هو توقع الفرد أن أفعاله غير قادرة على تحقيق ما يرغب فيه وذلك لاعتقاده في عدم القدرة على التحكم في سير الأحداث وتوقع النتائج، وهذا ما ينتج عنه الشعور بالإحباط (سيمان 1971).فالعجز مرتبط بنقص الفاعلية لدى الفرد وعدم القدرة على تفعيل الحياة والحضور الإيجابي والفعال في الحياة العامة..."[2] نستنتج من خلال هذا أن الفرد عندما يشعر بعدم القدرة واستطاعة التحكم فيما يسير أمام عينيه من أحداث مختلفة، يصبح الفرد عاجزا تماما عن تفعيل وإثارة الحياة من حوله، وإحداث أمور إيجابية في الحياة العامة، مما ينتج عجزا، ويعتبر هذا الأخير مظهر من مظاهر الاغتراب التي تأثر سلبا في نفسية ومشاعر الإنسان وذلك ما يؤدي به إلى الإحباط.كما يعرف العجز كذلك بأنه "الشعور باللاحول ولا قوة، ويعجز الفرد عن السيطرة عن تصرفاته

[1] عبد اللطيف محمد خليفة :دراسات في سيكولوجية الاغتراب،ص39_40.

[2] بلعابد عبد القادر:الاتجاه نحو العنق و علاقته بالإغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة و الجنس ،أطروحة دكتوراه،تخصص علم النفس ،إشراف:ماحي إبراهيم،كلية العلوم الاجتماعية ،وهران ،الجزائر،2013_2014،ص52.

ورغباته وافتقاره إلى الشعور بأنه قوة حاسمة ومقررة في حياته وفقدانه الشعور يتلقائيته ومرح الحياة..."[1] العجز عن السيطرة على رغبات الإنسان المختلفة،كذلك يشعر بعدم الاستطاعة في التحكم في تصرفاته الشخصية، ينتج عن ذلك برود وعدم الحماس للحياة.

وفي تحليل ميلفن سيمان Seeman لهذا المفهوم أكد على أمرين مهمين هما "(أ) يتعين ألا ينظر بالضرورة إلى مفهوم الاغتراب باعتباره حالة شائعة يبدو معها وكأنه أمر قائم وليس باعتباره مجرد إحساس، تولد عن بعض الظروف الموضوعية بالقدرة أو عدمها على التأثير في الأحداث الجارية.

(ب)يتعين عدم الربط بين العجز ومسألة توافق الشخصية أي عدم الربط، بين حالة الإحساس وباللاقوة وحالة سوء التوافق الناشيء عن عدم القدرة..."[2] ومنه نستخلص أن العجز مظهر من مظاهر الاغتراب الأساسية الذي يتمثل في عدم القدرة، ينتج عنه آثار سلبية على النفس والذات، عند الإحساس بعدم استطاعة وإحداث تغير فيما يحصل أمامه في الحياة.

ثالثا: اللامعنى meaninglessness:

المقصود باللامعنى واللاهدف هو: "نقص الإدراك والفهم لكل المعاني المرتبطة بأوجه الحياة، وإحساس الفرد بلا هدف في الوجود، وقد ارتبط مفهوم اللامعنى في السياق الفلسفي بالعبث، أي فقدان المعنى فالوجود عبثي ورغبات الإنسان تحوله إلى آلة، حيث يكون الشخص الشيء في ذاته من أجل ذاته (سارتر1967)، ويرتبط اللامعنى بإدراك الفرد للحياة ومبررات وجوده فيها والقيمة التي تمثلها له، فعدم قدرة الفرد على فهم الأشياء وتفسيرها لدرجة تجعله غير قادر على إعطاء معنى لسلوكاته، وعدم الاهتمام بالنتائج يفقده الرغبة غلى الإقدام على الحياة، ويسلبه إرادة الفعل وتضطرب لديه هوية الوجود... "[3]منه نستنتج أن المقصود من اللامعنى، هو مدى نقص الإدراك لدى الفرد وفهمه واستيعابه لما يوجد أمامه في الحياة، سواء كانت تلك الأمور عامة للناس جميعا أو خاصة به وحده.

[1] جديدي زليخة :{الإغتراب}،مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية،ع8 جوان.2012،جامعة وادي سوف ،الجزائر،ص353.

[2] عبد اللطيف محمد خليفة :دراسات في سيكولوجية الاغتراب،ص36.

[3] بلعابد عبد القادر :الإتجاه نحو العنف و علاقته بالاغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة و الجنس،ص54.

كذلك نجد "ويشير اللامعنى (فقدان المعنى) إلى شعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشدا أو موجها للسلوك والاعتقاد، وذهب "مزريخ"في تحليله لمفهوم الاغتراب إلى القول بأن اللامعنى توجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد فيه، وحينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرارات غير متوفرة.

وبوجه عام يرى الفرد المغترب وفقا لمفهوم اللامعنى،أن الحياة لا معنى لها لكونها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، و بالتالي يفقد واقعيته و يحيا باللامبالاة"[1]...نفهم من ذلك أنه عندما يشعر الفرد بأنه لا يملك مرشدا و موجها لما يسلكه من أمور،و يضبط له سلوكه الخاص وهنا يقع في اللامعنى واللاهدف في هذه الحياة. أي تكون الأمور لدى الفرد غامضة ضبابية غير واضحة تماما له، وبصفة خاصة عند الفرد المغترب في مظهر اللامعنى في الاغتراب، تصبح الحياة له بدون معنى، ويعيش بلا هدف حتى يقع في اللامبالاة، وعدم إعطاء أهمية لما يحصل أمامه ويسير في الحياة.

رابعا_ العزلة الاجتماعية Social isolation :

"ويقصد بها شعور الفرد بالوحدة و الفراغ النفسي والافتقاد إلى الأرض والعلاقات الاجتماعية الحميمية، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم،كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع .والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره"[2].

عندما لا يتوافق ما بداخل الفرد مع الخارج أي المجتمع الذي يعيش فيه فينسحب عن العلاقات التي تربطه بالمجتمع، مما يؤثر سلبيا على نفسية الفرد، ويفتقد إلى الأمن والأمان وسط الأفراد، وهذا يفرض عليه الوحدة والابتعاد، وتكوين عالم خاص به هو وحده... نجد ذلك أيضا في كتاب دراسات في سيكولوجية الاغتراب لعبد اللطيف محمد خليفة "وغالبا ما يستخدم مصطلح العزلة عند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد_Detachement_.وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية Folklorotistic stamdards في المجتمع، ويرى بعض الباحثين في ذلك نوعا من الانفصال عن المجتمع وثقافته، ويلاحظ أن هذا المعنى للإغتراب لا يشير إلى العزلة الاجتماعية التي تواجه الفرد المثقف كنتيجة لانعدام التكيف الاجتماعي أو لضالة الدفء العاطفي Affective warmth أو لضعف الاتصال الاجتماعي للفرد. ولعل أفضل

[1] عبد اللطيف محمد خليفة :دراسات في سيكولوجية الاغتراب،ص37.

[2] سمية بن عمارة،منصور بن زاهي:{الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنيت _دراسة ميدانية لعينة من الشباب بمقاهي الانترنيت}،مجلة دراسات نفسية و تربوية ، ع10جوان 2013،ورقلة،الجزائر،ص56.

أسلوب يوضح طبيعة هذا المعنى للإغتراب هو أن ينظر إليه من زاوية قيمة الجزاء أو الإرضاء reward value، فالأشخاص الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع. ويبرز هذا الصنف في عدد من المؤشرات منها عدم مشاركة الأفراد المغتربين لبقية الناس في مجتمعهم فيما يشير اهتمامهم من برامج تليفزيونية وإذاعية ونشاطات..."[1] العزلة الاجتماعية وهي مظهر من مظاهر الاغتراب الموجودة بكثرة خاصة في العصر الحديث والمعاصر.

خلاصة القول تقول تعني الانسحاب والانفصال الفردي عن الثقافة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، مما ينتج عنه الشعور بالوحدة ونفسية متعبة مغتربة عن الآخرين،حتى و لو كان معهم يشعر بذلك.

خامسا:اللامعيارية (الأنومي) Nor mlessness :

أما عن مفهوم الأنومي عند سيمانSeeman فقد "أخذ سيمان اللامعيارية من وصف دوركايم لحالة الأنومي anomie التي تصيب المجتمع، وفي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وتشير اللامعيارية إلى الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة من أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا، غدت مقبولة اتجاه أي أهداف محددة"[2]... عندما تصبح المعايير والقوانين التي تضبط وتنظم سير المجتمع لا توافق الواقع، ولا تتماشى مع ما يريده ويسعى إليه الفرد، ويقوم بتحويل القوانين التي كانت مرفوضة وغير مقبولة إلى معايير توافق ذلك من أجل إحداث أهداف محددة تخدم ذلك الوقت.

"ويتسق ذلك مع ما أوضحه النكلاوي (1989) من أن مصطلح الأنومي يشير إلى حالة تجمع بين اللامعيارية وحالة الفراغ الخلقي المتمثل في عدم الثقة أو الشك في القواعد، بمعنى الرجوع عن المبادئ والقواعد، ومن ثم فالأنومي حالة تفترض وجود حالة سابقة كان فيها سلوك الفرد منسقا معياريا،وأن أزمة معيارية فوضت هذا التوازن وأضعفت القوة الضاغطة للتقاليد مما أدى إلى شيوع الأنومي"[3]..من خلال هذا نفهم أن اللامعيارية يقصد بها غياب النسق العام الذي يضبط وينظم القيم الاجتماعية، وأن الأشياء والأمور تسير بدون أي ضوابط تحكمها.

[1] عبد اللطيف محمد خليفة:دراسات في سيكولوجية الاغتراب ،ص39.

[2] سمية بن عمارة ،منصور بن زاهي:{الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنيت_دراسة ميدانية لعينة من الشباب بمقاهي الانترنيت}،ص55.

[3] عبد اللطيف محمد خليفة :دراسات في سيكولوجية الاغتراب ،ص38.

سادسا_التشيؤ:

"وهو شعور الفرد بأنه فقد هويته وهو مجرد شيء وقد تحول إلى موضوع وأنه لا يملك تقرير مصيره"[1].

التمرد وعدم الرضا: "عدم تقبل الفرد لواقعه وما يدور حوله من أحداث مع وجود نزعة تدميرية اتجاه الخارج في شكل سلوك عدواني سواء باتجاه الآخرين أو باتجاه نفسه..."[2] يتخذ الفرد سلوك عدواني اتجاه نفسه أو اتجاه الآخرين نتيجة عدم تقبله للواقع، وما يسير حوله من أحداث وقرارات.

أما في نهاية الفصل الأول المعنون بالاغتراب تقلبات المصطلح و تشكل الماهية استنتجنا أن:

_لفظ الاغتراب جاء في مختلف المعاجم بمعنى الغربة والانفصال عن الوطن.

_أول من استعمل مفهوم الاغتراب هو توماس هوبز thomas Hobes باعتباره خللا يواجه الذات الانسانية.

_يعتبر هيجل Higel الرائد الأساسي للإغتراب وأول مستخدم لمصطلح الاغتراب .

_للإغتراب مكانة هامة في الشعر العربي القديم حيث نجد ذلك بصورة واضحة في شعر امرؤ القيس و عنترة .

_تطور الاغتراب في العصر الأموي بفضل ظهور ألوان جديدة منها غربة النفي والسجن.

_انعكست ظاهرة الاغتراب في الرواية بشكل كبير باعتبارها ترجمة للأحاسيس والعواطف والأفكار وهواجس الإنسان.

[1] يحياوي صفاء :الشعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف_دراسة عيادية لست حالات_،رسالة ماجستير،تخصص دراسة الجماعات و المؤسسات ،إشراف منصوري عبد الحق ،جامعة وهران ،الجزائر،2010_2011م،ص34.

[2] يحياوي صفاء:الشعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف_دراسة عيادية لست حالات_،ص34.

الفصل الثاني: انعكاس غربة الذات على اغتراب الموضوع في رواية"حتى العصافير هاجرت":

أولا :الاغتراب في الرواية

1_غربة الذات وهواجس الوحدة

2_الاغتراب المكاني

3_الاغتراب الزماني

4_الاغتراب الاجتماعي

أولا: الاغتراب في الرواية:

يعد الاغتراب ظاهرة بارزة، لها حضورها المميز في أدبنا العربي، فقد رصد العصر مجموعة كبيرة من المتناقضات التي نتجت عنها أزمات ومشاكل مختلفة، سياسية، اقتصادية، ثقافية، فكرية، علمية وأدبية، أدت إلى حدوث مشكلة عويصة يصعب حلها، وجعلت من ذلك أزمة أو صدمة في نفسية المبدع العربي أو الأدبي بوجه الخصوص، شكلت من ذلك رواية أو قصة أو مجموعة مختلفة من المؤلفات الأدبية التي عالجت فيها نوع من أنواع الاغتراب.

وفي رواية: "حتى العصافير هاجرت"لهاجر ميموني إبراز لظاهرة الاغتراب بمظاهرها المختلفة والمتعددة بصورة وشكل واضح و بارز،حيث تم ذلك على مستوى الشخصية "رحمة" ومختلف الشخصيات التي تدور حولها الرواية، تمثلت الرواية في إبراز صورة المعاناة والمأساة والآلام التي عانت منها مختلف الشخصيات، بسبب الهجرة والابتعاد عن الوطن، والشعور بالحنين والشوق والغربة.

تهدف هذه المداخلة إلى البحث حول ظاهرة الاغتراب المكاني والزماني،كذلك الاغتراب النفسي في رواية "حتى العصافير هاجرت ".تطرقت الروائية أيضا إلى مظاهر الاغتراب الاجتماعي.

1_غربة الذات و هواجس الوحدة:

لكل قرار وسلوك في حياة الإنسان هناك سبب ودافع ما يدفعه ويؤثر فيه، فهو أحد الركائز والعناصر الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، يؤثر ويتأثر.

الوحدة هي العنصر والحركة الأولى في الاغتراب "نجد أن مفهوم الاغتراب أضحى يتجسد بمظاهر العزلة الناتجة عن إحساس الفرد بأن الآخرين لا يواكبونه فكريا، وعما يسود في المجتمع من ثقافات مشوهة وتضليل سياسي، وتضارب في الآراء والأفكار"[1].

شخصية رحمة وهي بطلة الرواية، قامت الروائية بوصفها في مقاطع من الرواية "وهي الحساسة كثيرا .قالت وهي تحدث نفسها :_فلتكن هذه الصورة آخر صورة في المشهد؟"[2]...شخصية البطلة جد حساسة، فهي كائن

[1] أحمد علي الفلاحي :الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري(دراسة اجتماعية نفسية) ،ص 122،123.
[2] الرواية،ص22،23.

اجتماعي تأثر بالمشاهد المؤلمة التي أمامه.ف"المسكينة فكرت بذلك قياسا على نفسيتها المجبولة بحب الناس وحب الأشياء الجميلة،فوطنها العربي الكبير منشغل كثيرا في هذا القرن بهمومه الكثيرة، وكثرة أوجاع أعضائه الحساسة.فلم يعد يتسع حتى للحلم."[1]

ولقد جاءت شخصية البطلة غنية متنوعة، تعكس الجوانب الاغترابية المختلفة في الرواية، وتبعث لنا صورا ذهنية نفهمها فقط من خلال تحليل شخصيتها المغربة بالاكتشاف والتحليل .حيث رصدت لنا الرواية علاقة البطلة بالوطن العربي ووطنها بصفة خاصة،وما ظهر فيه من خلل و تفكك و هموم كثيرة يسعى إلى حلها.

من خلال هذا يتبين لنا التواصل الذاتي ف "شكلت المرأة في المرجعيات الذهنية للثقافات المختلفة رمزا للخصوبة المقرونة بالقدرة على الإنتاج والإكثار التي تحفظ للجنس البشري بقاءه، لتغدو لحظة الميلاد التي تحتل فيها المرأة دور البطولة_هي اللحظة التي تكمل دائرة السرد،بوصف الحياة حكاية كبيرة ينتاعها فعلا الحضور والغياب، بموازاة هذه الخصوبة المراوحة بين مظهرين، تأتي الرواية لتعتمد مبدأ التنازع بين ماضي الشخصية وحاضرها من خلال توظيف تقنية الاسترجاع الحاضرة بحضور الذاكرة ..."[2]

منه نستنتج أن الرواية تعتمد بشكل واضح على ذاكرة البطلة لاسترجاع الماضي، والذكريات التي تخضع بنفسها إلى ما يسمى بالاغتراب، وهذه الظاهرة تجلت في شخصية "رحمة" كونها إمرأة تحفظ وتيسر دائرة السرد الروائي، وتتيح التواصل الذاتي أي الذات مع ذاتها، مع أسلوبها الخاص، ومشاعرها وعواطفها المتعلقة بنفسيتها، لتخلق لها صورة واضحة لمخيلتها ونفسيتها المغتربة، التي شكلت من خلال التصورات الذاتية وعالمها الداخلي والخارجي.

العالم الألماني هيغل أحد المهتمين بدراسة ظاهرة الاغتراب الذاتي ليجد أن "هناك مسألة الاغتراب الذاتي للوجود بوصفه مصدر أول للمسيحية وهناك مسألة الاغتراب إلى الله، وأيضا الجوانب الإيجابية لهذه الظاهرة والجوانب السلبية كمسألة الاغتراب المتعلق بظاهرة انحلال الشخصية عند بعض الناس. وتوصل هيغل إلى نوعين من الاغتراب :

[1] الرواية،ص23،24.

[2] علاء عبد المنعم إبراهيم :{شعرية الاغتراب في رواية "بروكلين هايتس"لميرال الطحاوي }،التواصل الاجتماعي، ع12، ديسمبر2018،جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر،ص20.

أولهما_اغتراب الخضوع :

بانفصال الذات عن التوجيه الخاص وخضوعها للتوجه الصادر عن العقل الموضوعي.

ثانيهما_ اغتراب الانفصال:

الذي يشير إلى سلب الذات بالعقل الموضوعي وسيطرة التوجيه الخاص، نلاحظ أن الاغتراب عند هيغل هو ممارسة في العمل لتجارب الروحية بين التأصيل الإسلامي والاغتراب الثقافي لتجديد الصلة بالله"[1].

تسعى الذات دوما إلى إثبات وإبراز هويتها وذاتيتها، حيث شهدت العقود الأخيرة من الزمن تشتتا في الهوية وذلك يعود إلى مجموعة من الأسباب والتغيرات التي طرأت على مختلف المجتمعات.

ونجد معنى الاغتراب عن الذات في كتاب الإنسان المغترب عند إيريك فروم ل د.حسن حماد، فيقول "إن الذات الأصلية كما يتحدث عنها فروم هي الذات الفريدة الغير قابلة للتكرار، والتي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر قادر على الحب والإحساس ومبدع لما يقوم به من أفعال، ومفهوم الذات الأصلية على هذا النحو يتضمن عدة مفاهيم هي: التفرد، العقل، الحب والإبداع... والتفرد هو أبرز ما يميز الكائن البشري، بل يمكن أن نعرف الإنسان بأنه الحيوان الذي يستطيع أن يقول "أنا" والذي يكون مدركا لنفسه كوحدة مستقلة ومتميزة عن الآخرين، فالحيوان جزء من الطبيعة لا يستطيع أن يتجاوزها، أما الإنسان فهو الكائن الوحيد القادر على الانفصال وعلى الإحساس بمعنى الهوية لأنه ينفرد بالعقل والخيال"[2].

يتميز صاحب الذات الأصلية عند فروم بأنه الشخص الذي يستطيع الشعور بالحب والإحساس بمشاعره ومبدع في كل ما يمكنه القيام به.

فالشخصية التي تستطيع الإحساس بمعنى الهوية لها ما يميزها من العقل والخيال... ونستنتج من خلال ذلك عند فقدان الهوية والمعنى الحقيقي لها، يقع الإنسان في الظاهرة السلبية التي يعاني منها العالم، وهي ظاهرة الاغتراب الذاتي لدى العديد من الشخصيات.

[1] أسماء ربحي العرب،علاء زهير عبد الجواد الرواشدة:{الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب الأردني في عصر العولمة}،المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ،مج 9، ع2، 2016،الأردن،ص227.

[2] حسن حماد :الانسان المغترب عند إيريك فروم،ط1، مكتبة دار الكلمة،القاهرة،مصر،2015م،ص115_116.

ومقابل الذات الأصلية نجد فروم يقدم لنا معنى الذات الزائفة وهي تعني "الذات التي تفتقر لصفات الذات الأصلية أو لأحد هذه الصفات، إذ من الواضح أن هناك ترابط بين التفرد والعقل والحب والنشاط والأخلاق لذلك فإن فقدان أحد هذه الصفات غالبا ما يقضي إلى إحلال ذات زائفة محل الذات الأصلية."[1]تبين لنا من خلال هذا أن العقل والحب والنشاط ثلاثة عناصر أساسية توضح وتبرز الذات الأصلية، فعند الإخلال بعنصر أو جميع العناصر تقع الشخصية في الذات الزائفة.

نجد أيضا أن فروم يعتبر أن الاغتراب الذاتي ينشأ من خلال "فقدان الإنسان لسمة واحدة، أو لجميع سمات الذات الأصلية، فهو يصف الإنسان الذي فقد تفرده، وباع نفسه للحشد، وأصبح رأسا للقطيع بقوله: "إنه يعاش كالآخرين كما تعاش الأشياء، فهو يعاش بالحواس وبالحس المشترك /.../ ومما يزيد موقف فروم حربا أنه أحيانا ما يصف اغتراب الذات بأنه "تجربة يعيش فيها الإنسان ذاته كغريب "ولا شك في أن وصف الاغتراب عن الذات على أنه تجربة سوف يؤدي إلى صعوبة مؤادها أن الاغتراب عندما يكون تجربة فإن ذلك يتضمن الوعي بأن شعور الإنسان بذاته ليس هو الشعور الصحيح"[2].

الاغتراب الذاتي ينشأ من خلال فقدان الإنسان لإحدى سمات الذات الأصلية أو جميعها يجعل من الإنسان فاقدا لذاته، ويقع في الاغتراب الذي تنشأ عنه مظاهر عديدة تتداخل مع مختلف أنواع الاغتراب الأخرى.

يسعى الإنسان دائما في هذه الحياة إلى بناء عالم خاص به، يسوده الحب والأمان والهناء، كذلك الرحمة وكل أفراده يتحلون بروح التسامح والتعاون خاصة أفراد الأسرة الواحدة، من الجد وصولا إلى الحفيد الأصغر، لكن سرعان ما نصطدم بالواقع الصعب المشوه الذي يفرض نفسه ويكسر الأحلام، فيصبح بعد ذلك الشخص هائما في دوامة المشاعر والأحاسيس المتضارب.

هذا النوع من الاغتراب يعد أبرز الأنواع الاغترابية ظهورا في رواية "حتى العصافير هاجرت" وفيها يتبين شخصية البطلة "رحمة" المغتربة عن وطنها و قريتها المسمية بوادي الرمان، التي عاشت أمالها وأحلامها وسعادتها فيها، إلا أنها سرعان جرفتها رياح التغيير في مجتمعها الذي عاشت وترعرعت فيه، وذلك بسبب التغيرات التي

[1] حسن حماد :الانسان المغترب عند إيريك فروم ،ص119.

[2] حسن حماد:الانسان المغترب عند إيريك فروم،ص119_120.

طرأت على المجتمع والحرب، مما جعل "رحمة" تشعر بالاغتراب عن واقعها لتجد نفسها في آخر المطاف منفية ومغتربة عن وطنها إلى خيم مجاورة.

فحينما تحل القسوة مكان الحب في القلب تفقد الشخصية لسمة من السمات التي تبرز ذاتها ف"القسوة هي التي تفتت الرحمة حينما تحط عليها. ما أقساك أيتها القلوب حين تقسين، ما أقساك، ما أقساك...كان ذلك في شتاء عام 2013م، في أحد المخيمات التي نصبت على حدود بلا مجاور لبلدهم، حينما هربوا من جحيم الحرب و الدمار"[1].

فقدت الذات السمة المميزة لها ألا وهي الحب، الذي انهار وأصبحت القسوة تحتل بجدارة المركز الأول في قلوب الشخصيات، وذلك من خلال شعورهم بالابتعاد عن وطنهم الأم، وعيشهم وسط مخيمات قريبة، لتفتقد أبسط عناصر الحياة، خاصة في فصل الشتاء والبرد القارص، وما يبعث في الذات شعورا بالألم والحرمان الذي يولد بدوره الصراع النفسي الداخلي.

فقدت رحمة معنى الحب و وجدانها في حالة صعبة قاسية حلت به من خلال الفتنة الشنيعة التي وقفت على وطنها و قريتها، فكما نعرف أن:" عوارف الحب نقية وصافية كالحليب الأبيض ولا يستنهضها تحين الفرص واستغلال حاجة أحد الطرفين إلى الآخر، فالموقف موقف إنساني ...الشاب أنيس وهو على خلق عال، ورحمة يومها كانت جميع جوارحها معطلة ومكسورة الوجدان.

لكن يحدث الحب حتى في الحروب، ويحدث حب جميل بين طرف وطرف، ويحيون سنة من سنن الله بزواجهم من غير مظاهر الفرح. ويكون لزواجهم في تلك الظروف محطة للمؤرخين للتأريخ لزواجهم وينشط علماء الاجتماع في تفسير الظاهرة ويكتبون عنها البحوث"[2].

بالرغم من الحروب والآلام والصعاب المختلفة ينشأ حب بين طرفين يكتب عنها الروايات والبحوث، إلا أن هذه السمة الأساسية للذات الأصلية افتقدتها رحمة في ذلك اليوم، مما جعلها تدخل في الذات الزائفة التائهة بمجرد فقدانها لهذه الميزة.

[1] الرواية،ص30.
[2] الرواية،ص241.

فالحب له أهمية كبيرة وجلية تبين الحالة النفسية الشعورية للذات، خاصة عند إبداعها، وتوافقها مع العقل لإنتاج نشاط خلاق ذو قيمة عالية.

والملاحظ أيضا أن هاجر ميموني لم تجعل شخصية البطلة "رحمة" تعيش وحدها في حالة اغتراب ذاتي وإنما شاركها في ذلك عدد من شخوص الرواية، سواء كانوا من أفراد أسرتها الكبيرة أو أصدقائها الذين عاشوا معها الاغتراب الذاتي. وذلك راجع إلى السبب الرئيسي الذي تم ذكره والمتمثل في الحرب وما حل بالبلاد. فمن أبرز المقاطع التي بينت الاغتراب الذاتي عند والد و والدة رحمة المدعوة "نهاد" نجد"عندما وصلت رحمة إلى حدود بلد من بلدان العالم المتطور رفقة جمع كبير ممن ضاقت بهم الدنيا بما رحبت في بلدهم بسبب تلك الفتنة المشؤومة،كان والدها ووالدتها وسط جمع كبير من اللاجئين، من مختلف الأعمار وهم يهمون بدخول حدودها والبحث على مكان لحياة أخرى"[1].

فقدان الأمن والأمان يؤديان إلى الإحساس بالضياع المسيطر على العقل في ذلك الوقت، حيث لا يستطيع الإنسان التفكير الصحيح والجيد الذي به يضبط ويسير أموره الشخصية والذاتية، فشعور نهاد وزوجها "خالد"بالبعد عن وطنهم وقريتهم ولد فيهم الإحساس بالاغتراب الذاتي، ليأخذ الطرفين البحث عن مكان آخر لعل وعسى أن يجدوا فيه معنى آخر للحياة والشعور بالذات والراحة النفسية، لتخلق كل هذه العوامل ارتياحا للشخصية.

الاغتراب عن الذات يتمثل في:

أ_الأنا المغترب فاقد الإبداع:

نذهب أولا إلى الأنا المغترب فاقد الإبداع حيث يتمثل في "الحالة التي يشعر فيها الفرد بالحرمان من الإشباع وحالة اللااستقرار والقهر و اللاأمن والوحدة والقلق وعدم الاستمتاع بالحياة أو الشعور بالإحباط وعدم الشعور بالدفء الداخلي أو التوافق مع رغبات الذات و إمكانات الواقع"[2] .

[1] الرواية،ص230.

[2] يحياوي صفاء :الشعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف _دراسة عيادية لست حالات_،رسالة ماجستير،تخصص دراسة الجماعات و المؤسسات ،إشراف:منصوري عبد الحق ،جامعة وهران،الجزائر،2010م،2011م،ص32.

فعدم الشعور بالدفء الداخلي للبطلة"رحمة"نجدها تقول في ذلك واصفة حالتها و أحاسيسها قائلة" و لما أعيش وعيي الداخلي تشرئب جميع أحاسيسه و يتمترس بظلمته الليل. ثم يعيد قراءة و بدقة عالية الحذر، أحداث يوميات وعيي الخارجي كما حدثت وكما عاشها، و يستعين به لأنه هو أيضا لا ينام ولا يجالس دائما وعيي الداخلي ويقوم بعملية تمحيص لها تمحيصا دقيقا ثم يرتبها ترتيبا متناهي الدقة فليس عنده هامة أو تفاهة. ثم يشرع في النسيج على ورقة الكتابة ليجعل منها ربما أردية أو أعظية للأشقياء الذين يشقون في هذا الكون الرهيب بمتغيراته"[1].

إن عدم الارتياح لما في داخل الشخصية من ألم وقهر وحرمان يولد فيها حالة شعورية غريبة ويجعلها تتنازع مع ذاتها الداخلية وواقعها المر الذي يفرض نفسه عليها، ولا تجد في ذلك حلا سواء الليل الذي تزيد ظلمته في قوة الشعور بغربة الذات الحقيقية عن نفسها ومشاعرها، فتجتمع جميعها من أحاسيس ما عاشته البطلة خلال طوال اليوم، وتتصارع لتولد لنا قصصا وروايات،يحتضنها القلم ليرسم لنا أحلى وأدق الكلمات،فتقول رحمة: "فحينما أدنو من الأشقياء أنتبذ مكانا لأشجاني بينهم وأشاركهم شقائهم وتعاستهم، فتزداد كلما دنوت منهم ذروة مشاعر وأحاسيس أشجاني في داخل مهجتي. فتتضوع ألما شقائهم فيتشكل ضغط كبير من تضوعها، ويتسلل إلى الخارج كتيار كهربائي عبر ذراعي اليمنى فراحة اليد ثم الأصابع، ويستقر في الإبهام والسبابة والوسطى، فيجد مخرجات شحناته في القلم الذي يحتضنه، فيحط القلم بعدها دواخله التي وصلت إليه عبر هذا التيار على ورق الكتابة"[2].

تناولت الرواية الاغتراب عن الذات باعتباره تعبيرا عن المشاعر المختلطة والأحاسيس الغير مفهومة، فينتج عن ذلك تداخل في المشاعر المختلفة منها المحبوبة والمكروهة، فتداخل جميعها في صراعات مختلفة بين الوعي الداخلي الذي يحكمه الحب والشعور، والعقل والأخلاق الجيدة ومختلف الصفات والوعي الخارجي الذي يفرضه الواقع المعاش.

تمثل الحالة الشعورية التي تشعر فيها أيضا الشخصية بالشرود نمطا من أنماط الأنا المغترب فاقد الإبداع. حيث نجد ذلك في لحظة شرود خالد والد رحمة "حدثته نفسه بكثير من الحسرة والألم، ثم ما لبثت دون شعور منه أن قال بصوت مسموع كلمة خرجت من أعماقه:كان على حق؟"[3].

[1] الرواية،ص13_14.
[2] الرواية،ص14.
[3] الرواية،ص32.

الحالة الشعورية التي تتعمد وتنطوي على نفسية "خالد" جعلت من ذاته ذات المغترب فاقد الإبداع. وفي حالة صراع بين الذات الداخلية الحقيقية التي تملكها الشرود، وعدم الإحساس بالأمان والوحدة والقلق وعدم الاستمتاع بالحياة مع الذات الزائفة التي يجب أن تكون قوية مساندة للعائلة، موافقة ومرافقة لها في شتى الأمور والصعاب، والأيام التي تمر عليهم...فهذه المشاعر السلبية جعلت "رحمة" تكتب رسالة إلى صديقتها لتخبرها عن رحيلها، قائلة في ذلك "عزيزتي ليلى، لقد تبخر حلمي وحلم عائلتي بزيارة بلدكم المجاهد خلال سنة 2011م، مع هذه المحنة التي تعصف بنا، وسأتصل بك ريثما أجد مكانا أستقر فيه مع عائلتي، وأحمد الله على أمنكم الذي تنعمون به..."[1] الحالة التي تضمنها المقطع الروائي تتمثل في الحالة التي تشعر بها رحمة وعائلتها فيها بعدم الأمن في وطنهم الذي جعلهم يغتربون عنه بحثا عن مكان آمن للعيش فيه، وحالة اللااستقرار والقهر نتج عن تبحر أحلامهم وآمالهم ومستقبلهم المخطط له، وذلك فقط سبب الحرب التي حلت بوطنهم، سطت على الأخضر واليابس لم تترك لهم أي خيار، سوى الاغتراب.من خلال ذلك تبين لنا أن لرغبة رحمة في ذاتها إكمال دراستها لكن لا يتوافق ذلك مع الواقع فالواقع هنا يحرمها من مزاولة دراستها في الجامعة التي طالما تمنت أن تتخرج وتنال شهادة تخرجها ونجاحها منها، وتدعى هذه الكلية "كلية ابن سينا للطب، التي تقع في عاصمة البلد"[2].

ثانيا_الأنا المغترب فاقد الضبط:

وهو "الحالة التي يشعر فيها الفرد بالعجز وعدم الرضا وعدم القدرة على التعبير عن الذات وعدم القدرة على الاختيار وصعوبة إتخاذ القرارات والشعور بالضعف ومفهوم الذات المتدني والشعور بالضياع وعدم التفاؤل... "[3] شعور رحمة بالانكسار وعدم التفاؤل لإكمال دراستها في مجال الطب جعل منها الأنا المغترب فاقد الضبط، مما جعل أنيس صديق رحمة يشجعها ويبعث في ذاتها الأمل، فهذا المقطع الروائي يفسر ويوضح ذلك "قرب نظرة حسرة ممزوجة بالشفقة والإعجاب قائلا في نفسه: سبحان الله، ما هذا؟ وجه بشر؟ إنه وجه ملاك نزل من السماء... ثم قال لها:أنا ملك أنا مل طبيبة؟؟. فقالت له: نعم، نعم، كنت سأحصل السنة الماضية على شهادة طبية. لولا هذه الفتنة التي شردتنا؟ فقال لها أنيس: لا تيأسي،لا تيأسي فالله معكم"[4].

[1] الرواية،ص208.

[2] الرواية،ص126.

[3] يحياوي صفاء :الشعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف_دراسة عيادية لست حالات_،ص32.

[4] الرواية،ص240.

إن اليأس والشعور بالضياع والعجز لعدم القدرة على مواصلة الدراسة،كل هذه أسباب تهاجم ذات البطلة، لتكون منها نفسية محطمة باحثة عن أمل جديد يبعث في روحها المثابرة والاجتهاد من أجل إكمال دراستها وسنتها الأخيرة لتتحصل على شهادة الطب،و كل هذا غير واضح أمام الشخصية متى يكتمل، لسبب الفتنة الشنيعة التي حلت بوطنها.

تصاب رحمة بالحيرة تجاه ما ستكتب قائلة:"أي المواضيع أجدر بالكتابة عنها؟ أأكتب عن ماضينا المشرق الذي سطره أمجادنا وأثرى ثقافات الإنسانية يفيض من الأشياء الجميلة، الحب، التآخي، التآزر؟ وأبدأ لكان فلان وكان فلان .وهل يجديني ذلك عن واقعنا المر والصعب الذي صفناه لأنفسنا ؟... "[1].

هنا تبين لنا أن الشخصية تعاني من صعوبة اتخاذ القرارات حتى في الكتابة التي تجد نفسها فيها.بسبب الواقع المر و المشوه الذي جعل من الذات ذاتا متدنية ضائعة ومحتارة.

قال والد رحمة عند شعوره بعدم الاستقرار "خرجنا نبحث عن الأمن والأمان وكان الله معنا. عقبت رحمة على كلام والدها، وقالت: النخوة العربية تبرز عند العرب في الشدائد دائما"[2]...هذا المقطع الروائي وضح لنا مدى اغتراب الذات وشعورها بالضياع للبحث على مكان آمن، وأمان للنفس وراحة للبال.

برزت قوى وأسباب الاغتراب لدى كافة شخصيات الرواية وأصبح يشكل هاجسا كبيرا عليهم، صعبت مواجهته لأن أنواعه كثرت وتنوعت وشاعت وسط الجمع، إذ أسفرت على وضع آلام وقسوة كبيرة وسط قلوب المهاجرين.

أصبحت الحالة لا تطاق،الجميع يشعر بالعجز التام عند فعل أي شيء، أو اتخاذ أي قرار لا يمكنه حتى التعبير عن ذاته، وعدم قدرته حتى على اتخاذ قرارات مصيرية توضح له طريقه الذي يسير عليه.

إذا نستخلص من هذا كله أن المهاجرين في رواية "حتى العصافير هاجرت" جميعهم عانوا من الأنا المغترب فاقد الضبط الذي وضعنا له تعريفا سابقا بين ذلك.

[1] الرواية،ص206.
[2] الرواية،ص236.

تذهب يحياوي صفاء إلى تصنيف الاغتراب الذاتي إلى موضوعين مختلفين .

أولا: إغتراب عن الذات الفعلية: "شعور الفرد بوجود فجوة بينه وبين مشاعره ومعتقداته وطاقاته إلى درجة فقدانه الشعور بذاته ككل أي ابتعاده عن جوهره الحيوي"[1].

ثالثا:اغتراب عن الذات الحقيقية:

"بالتخلي عن مهامه وأدواره الحقيقية في الحياة والانسحاب منها"[2] فالاغتراب عن الذات الفعلية يتجلى في رواية"حتى العصافير هاجرت:"لكني فقدت الشهية بعد هذا الواقع الأليم الذي أتى بمآسيه علينا،ثم أعود أدراجي للمطبخ وأفتح باب الثلاجة وأحملق فيما فيها، وتقع عيناي على بعض الفواكه الطبية، أخرج بعضها منها وأهم بتناولها، وأفعل ذلك وأشرع في تناولها/.../ فأتمرد على سريري في هدوء وأفكاري تنبعث منها كوابيس.حتما سيكون لها تأثير على أحلامي إذا تمت أو إذا غفوت بعض الشيء، وتصيبني الحيرة هل أبقى ممدة أم أجلس، لا أستطيع الحسم في الأمر لأن النوم بهروبه بعثر جميع أفكاري"[3].

فقدت الشخصية ملذات الأشياء، فمشاعرها مبعثرة تائهة، وأفكارها تولد نوعا من الكوابيس،لتصبح هنا متمحورة في اغتراب الذات الفعلية.

يتجلى الاغتراب عن الذات الحقيقية بصفة واضحة في "والدة رحمة وهي مستلقية في الخيمة، أعطاها لف نفسها بالأغطية بعض الدفء وكانت تسمع الحديث الدائر بين ابنتها رحمة ووالدها، لكنها لم تتابع تسلسله ولا مضمونه لأنها كانت تعيش في عالم آخر من الذكريات الجميلة، وهي تستذكر بلدها وقريتها ومنزل العائلة ومطبخ المنزل حينما كانت تحضر لعائلتها أحسن الأطباق وألذها، وكيف كانت تحضر الحلويات في تلك الأيام السعيدة وتتذكر أيام وليالي شهر رمضان وسهراته في قريتهم وتتذكر معها مناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى المباركين وكيف كان أهالي الأرياف والقرى يحتفلون بها وبعاشوراء و الولد النبوي الشريف"[4] . تخلت نهاد عن جميع أدوارها المهمة في هذه الحياة ومهامها وانسحبت تماما منها. وهذا ما حصل مع والدة رحمة التي وقعت في الاغتراب عن الذات الحقيقية عندما اغتربت عن المركز الأكثر حيوية بالنسبة لها، والمتمثل في منزلها الذي يمثل لها منبع الحب والحنان

[1] يحياوي صفاء :الشعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف_دراسة عيادية لست حالات_ ،ص36.

[2] يحياوي صفاء :الشعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف_دراسة عيادية لست حالات_ ،ص36

[3] الرواية،ص204.

[4] الرواية :ص44_45.

والذي تشعر فيه بمدى قوة عاطفة ذاتها تجاه عائلتها، ليمثل بالنسبة لها العامل البناء لنظام الحياة لها، وبصفة خاصة للنظام الأسري التي تعتبر بدورها ذاتها المنظم والمسير الأساسي له.

تجسد شخصية "رحمة"في الرواية الشخصية المركزية،حالة الاغتراب النفسي من خلال سرد الروائية أحداث البطلة متذ ولادتها سنة 1988. والظروف التي عاشتها هي التي أرغمتها على الخوض في هذه الظاهرة .كان كذلك منذ ولادتها "ولم يكونا وهما يعيشان سعادة مولدها يعرفان أنها ولدت لتشقى ذات عصر رديء من تاريخ الإنسان العربي "[1] .فالاغتراب النفسي عند هيغل يكمن في"فقدان الحرية والتلقائية والحيوية و غير ذلك من مظاهر سلبية تتعارض مع الحرية وتحول دون أن يكون الإنسان واحدا أي متناغما مع نفسه ومع العالم"[2].

قامت رحمة بوصفها لهذه الحالة فقالت"هذه الخاصية جعلتني أعيش في نهاري وعيي الخارجي كله، فأتسوق وأعمل و أتجول وأحضر الأعراس والحفلات والمناسبات،كما يفعل عامة الناس في يومياتهم،فيكون الوعي الداخلي وقتها يختبئ وراء وعيي الخارجي و يلازمه أينما حل وارتحل ويلاحظ ويسجل في سكون وسكوت. وحين يأتي الليل يأتي معه وعيي الداخلي كاملا غير منقوص ويأخذ مكان وعيي الخارجي، ثم أعيش وعيي الداخلي كله..."[3].

رحمة بنت خالد تعاني حالة اغتراب شديدة في ذاتها، سبب ذلك راجع إلى الظروف التي عاشتها بطلة الرواية في إحدى القرى العربية المسمية بقرية "وادي الرمان" لترغمها هذه الأخيرة على الانسحاب بذاتها وتفكيرها إلى عالم أخر خارجي.فالاغتراب وفقا لنظرية أغتراب الذات "ينشأ من الإدراك السلبي للذات وعدم فهمها بشكل سليم، وكذلك نتيجة للهوة الكبيرة بين تصور الفرد لذاته المثالية وذاته الواقعية..."[4] لنجد رحمة تعبر عن ذاتها الداخلية قائلة"ولما أعيش وعيي الداخلي،تشرئب جميع أحاسيسه ويتمترس بظلمة الليل..."[5] مما سبق يتضح أن شخصية "رحمة" كانت لها علاقة وطيدة وقوية، متمسكة بالاغتراب النفسي والأسري والمكاني. وذلك باعتبارها العنصر الحيوي الفعال في بناء الرواية لذلك اتخذت هذه الشخصية عدة مظاهر للإغتراب جعلتنا نقر بأن هذه البطلة عانت كثيرا من ظاهرة الاغتراب،فأخذت تحاور النفوس البائسة التي تعاني من القلق الشديد واليأس من

[1] الرواية ،ص17.

[2] محمود رجب :الإغتراب سيرة ذاتية مصطلح،ص3،دار المعارف،القاهرة ،مصر،1988،ص12.

[3] الرواية،ص13.

[4] جديدي زليخة :{الإغتراب }،مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع 8جوان2012،جامعة وادي سوف ،الجزائر،ص359.

[5] الرواية،ص13.

حال الدنيا. قائلة: "أيها القلق.لا أتهمك ظلما، وإني عادلة في حكمي، إنك أنت سبب المآسي؟"[1]...جسد القلق في حالة الاغتراب لدى مختلف النفوس."يا أيتها النفوس القلقة، لا تتعجلي في أمر دنياك التعجل المقيت، واتركي القلق جانبا ولا تصاحبيه واطرديه عنك ولا تدعيه، حتى لا يعمل فيك عمله المشين..."[2] لتزداد حدته ومجالات انتشاره في نفوس الناس، وذلك بسبب توفر العوامل والأسباب المهيأة للشعور بالقلق الدائم. سرعان ما تضطرب نفسية البطلة. وتقع في الاغتراب الذاتي الذي يشكل انتقال الصراع بين الذات والآخر من المسرح الخارجي إلى النفس الإنسانية ف"ذلك الشيء في داخلها الذي نطق يتحدث ويزمجر ثم يسكت ويسكت ويصمت كالخائف من جميع الأشياء..."[3] تنشأ هذه الظاهرة نتيجة للمواقف التي تعرضت إليها "رحمة".."ثم يصمت هذا الذي يداخلها عندما يجف ريقها وتعتري حلقها مع جفافه غصة مؤلمة من شدة زمجرته عندما كان يتحدث، وتحس بآلام مبرحة لا تحتمل..."[4]

أيضا نجد العزلة الإجتماعية،التي تعتبر الحالة التي ينفصل فيها الفرد أو أصحاب الأسرة الواحدة عن مجتمعهم "في صبيحة يوم من الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر 2012 خرجت رحمة وعائلتها تاركين بلدهم الجميل ومنزلهم و قريتهم/.../ إنها الهجرة نحو المجهول"[5].

انفصلت رحمة عن مجتمعها وأصدقائها مع الشعور بالخوف والقلق تاركة رسالة لصديقتها "ليلى"تطلب منها "الدعاء لها لأنها عقدت العزم على الهجرة والرحيل هي أيضا."[6]فالاغتراب يعد تعبيرا إنسانيا عن معاناة وجودية ذات أبعاد نفسية واجتماعية فهي تشعر بالوحدة. والألم لفراق صديقتها الحميمة والقريبة لها وتزداد الضغوطات النفسية على هذه البطلة،حتى أصبحت شخصية حزينة،غارقة في أحزانها و منطوية على ذاتها، تعيش ألمها بصمت رهيب "كانت رحمة عندما شرع هذا الشيء الذي يتحدث بداخلها منقطعة عن وعيها الخارجي، وهي تنصت إليها بحسها الرهيف المتعب وتتابع ما كان يقول وهي مكسورة الوجدان"[7]. تتابع رحمة حسها الداخلي بصمت، وتصنت له بحسها الرقيق الرهيف المتألم الذي يعاني من ألم الهجرة والفراق وهي مكسورة

[1] الرواية،ص214.
[2] الرواية ،ص124.
[3] الرواية،ص214.
[4] الرواية،ص216.
[5] الرواية،ص208.
[6] الرواية،ص208.
[7] الرواية،ص216.

المشاعر والوجدان، فهي تعيش في اليأس والانكسار، فلم تستطع حتى النوم "كانت ليلتها محطمة الوجدان وفي حالة اكتئاب حادة، تسهل قراءتها بمجرد نظرة واحدة على محياها الصبوح الذي عكرته حالة اكتئابها"[1].

أصبحت رحمة تشتكي من هذه الحالة التي عليها قائلة ومعبرة في ذلك"ولا لحظة اقتربت إدراك النوم واللحاق به، ولا لحظة دنى مني أو اقترب..."[2] لتشعر رحمة بحالة نفسية متأزمة واغتراب الذات أثر في نفسيتها، فلا تستطيع حتى النوم.

لم تجعل هاجر ميموني الشخصية رحمة بطلة الرواية وحدها تعيش في حالة اغتراب ذاتي، بل شاركها في ذلك عدد من شخوص الرواية أهمها عائلتها الكبيرة التي تشردت "فعلت ذلك و هو أضعف الإيمان عندها، لأنها لم تكن سببا في مأساتها و مأساة عائلتها وأمثالهم الذين تشردوا "[3].

فتحت رواية "حتى العصافير هاجرت"المجال أمام الاغتراب النفسي الأسري، وذلك تم بالظهور عن طريق مقاطع مختلفة من الرواية، والتي جسدت الحالة الاغترابية النفسية لكل فرد من أفراد العائلة على حدى... إذن نجد ذلك واضحا في رسالة رحمة إلى صديقتها ليلى "عزيزتي ليلى لقد تبخر حلمي وحلم عائلتي بزيارة بلدكم المجاهد خلال سنة 2011، مع هذه المحنة التي تعصف بنا، وسأتصل بك ريثما أجد مكانا أستقر فيه مع عائلتي، وأحمد الله على أمنكم الذي تنعمون به"[4]...فقد تشردت عائلة رحمة، وهي الآن تبحث عن مقر ومكان لتنعم وتستقر فيه، وهذا ما ولد عنه الاغتراب النفسي لدى شخصيات رواية"حتى العصافير هاجرت" فيجعلهم يعيشون حالة من الضياع والألم والحزن، خاصة أفراد الأسرة الواحدة وعدم الإحساس و الأمل بالحياة.

نهاد والدة رحمة تأزمت نفسيتها من خلال التفكير و الأمل في الرجوع إلى حياتها الطبيعية لأنها كانت تعيش وسط أحلامها وفي عالمها الآخر"من الذكريات الجميلة وهي تستذكر بلدها وقريتها ومنزل العائلة ومطبخ المنزل،حينما كانت تحضر لعائلتها أحسن الأطباق وألذها، وكيف كانت تحضر الحلويات في تلك الأيام السعيدة، وتتذكر أيام وليالي شهر رمضان وسهراته في قريتهم"[5]...للأسف الشديد نفسية والدة البطلة جد متأزمة، لم

[1] الرواية،ص200.
[2] الرواية،ص201.
[3] الرواية،ص23.
3الرواية،ص208.
4الرواية،ص44.
[5] الرواية،ص44.

تستطع قبول الواقع الأليم، يدفعها إحساسها إلى مغادرة العالم الحقيقي إلى العالم الآخر الذي تجد فيه كل سعادتها مع أفراد أسرتها.لذلك "عد الاغتراب عن الذات في علم النفس حالة من حالات الصراع النفسي،تؤدي إلى الإحساس بفقدان الهوية، والشعور بالإختلال"[1].

مع تذكر الأيام السعيدة والأفراح والمناسبات السعيدة "تذكرت معها ذلك اليوم من عيد الأضحى لما وصلها نبأ وفاة ابنها "سميح"في انفجار قذيفة مجهولة المصدر في سوق المدينة، فعادت لوعيها الخارجي مع الذكرى لتعيش واقعها الجديد الذي أتى بثقل كبير تئن من تحته الجبال"[2].

يعد الاغتراب النفسي نوع من أنواع المعاناة الداخلية للنفس الإنسانية، فقد أدى الإحساس بالوحدة والعزلة عن الوعي الخارجي إلى تأثير سلبي على نفسية نهاد، وأدى ذلك إلى نمو هذا الإحساس والشعور بالاغتراب.

نلاحظ هنا تدهور نفسية نهاد إثر معاناتها الاغتراب،و هذا ما دفعها إلى الهروب والتخلي عن الوعي الخارجي والبحث في وعي ذاتها الداخلي لتحقق نوع من السعادة.لكنها سرعان ما تصطدم بالتفكير في وفاة ابنها سميح،فتصبح حدة الاغتراب العاطفي تسيطر عليها.

أشارت الروائية إلى شخصية السيدة "نهاد"زوجة خالد من خلال هذا المقطع "والدة رحمة امرأة جميلة جدا ومن سكان الريف، هي أيضا ولدت في الريف"[3]...لتجسد شخصية نهاد من خلال وصفها بأنها امرأة ذات جمال مميز، وأنها من أصول عربية ذات ديانة إسلامية تعيش في الريف، ولدت وترعرعت فيه.

لجأت نهاد إلى الحوار الباطني أي الداخلي لأنها لا تستطيع الكلام،و لا البوح بمشاعرها، وعن تأزم حالتها من خلال الظروف الصعبة التي تعيشها والدة رحمة.

وقد أسهمت الحوارات النفسية على بروز ظاهرة الاغتراب يشكل جد واضح، لنلمس عديد المقاطع في الرواية تحتوي الكلام الباطني.

[1] أحمد علي الفلاحي:الإغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية)،ص123.
[2] الرواية،ص46.
[3] الرواية،ص82.

من قسوة الاغتراب و مظاهره صارت نهاد "لاتدري إلى أين هي ذاهبة ؟و في داخلها تبكي وتنوح بحرقة كبيرة على تلك الأيام السعيدة التي عاشوها في قريتهم و وطنهم"[1].ومن مظاهر الاغتراب النفسي فقدان القوة وهذه هي الحالة المفسرة لنفسية "نهاد" فهي تشعر بحرقة داخلها ولا تستطيع التأثير،بل عاجزة تماما،على حل المشكل الذي وقع فيه عائلتها،و الضياع النفسي لكل أفراد الأسرة ولا تستطيع فقط التوقع لما سيحدث لها مستقبلا .

وقد"دفعهم الحنين لحارتهم القديمة،حارة جدهم الحاج صلاح الدين ففيها ولدوا،و صارت اليوم خاوية على عروشها، بعد تنقل الحاج صلاح الدين."[2]..ليدفع الحنين والشوق يدفع نفوس الشخصيات إلى العودة إلى حارتهم،لكنها أصبحت لم تصبح كما كانت،هنا تصطدم العائلة بالواقع المرير الذي جعل من الحنين المدمر النفسي لهم،و يتجلى الاغتراب في الرواية عندما "خرجوا ينشدون الهجرة و الرحيل إلى وجهة غير معروفة ولا محددة الجغرافيا والمعالم،على أمل الوصول إلى أماكن آمنة .كانت تتخيلها في خلدها، وتستريح من ليالي الأرق،التي عاودت نوباته تضرب فيها و كأن به تفطن لهجرة الطيور التي كانت تنام و تستيقظ على أصواتها "[3]. من هنا نستنتج أن نفسية عائلة رحمة تعاني أقصى درجات الاغتراب من خلال توجههم إلى وجهة مجهولة، فبمجرد كلمات الوصف لحالة العائلة عند الرحيل، تولد حالة نفسية .

شخصية خالد هي شخصية رئيسة في الرواية،تعاني هي الأخرى من هذه الظاهرة فنجدها دائما في شرود ذهني،إذ نجد الروائية تسرد لنا حاله قائلة "ثم ما لبث أن شرد ذهنه و هو ينظر إلى الكانون و إلى بقايا عيدان الخشب و الألواح التي شارفت إلى نهايتها /.../ في لحظة شروده تلك،حدثته نفسه بكثير من الحسرة و الألم،ثم ما لبث دون شعور منه أن قال بصوت مسموع كلمة خرجت من أعماقه:كان على حق؟"[4]. اغتراب خالد داخل أسرته أثر أيضا على ابنته رحمة ف"انتبهت ابنته إلى كلامه و هي التي كانت ستتخرج طبيبة في السنة المقبلة"[5]...و هذا الاغتراب سببه العزلة النفسية و الانطواء على الذات و شعوره بعدم الثقة. جسد خالد في الرواية حالة الاغتراب النفسي من خلال القلق الدائم و المستمر من فكرة التشرد"كان والدها

[1] الرواية،ص218.
[2] الرواية،ص209.
[3] الرواية،ص210،211.
[4] الرواية،ص31،32.
[5] الرواية،ص32.

يصطلي ببعض الدفء من الكانون الذي نصبته رحمة و يقول لها :احذري أن تمتد النار إلى الخيمة،لا تجعليها تلتهب أكثر فإذا احترقت الخيمة لا نجد ما يؤوينا "[1].فالخوف الشديد من فقدان الخيمة زاد من تأزم حالة خالد النفسية التي تؤول إلى الضياع بمجرد احتراق الخيمة، ولا سبيل آخر أمامهم.

تتعدد وتختلف أشكال وأسباب وتنوع مظاهر الهجرة في رواية "حتى العصافير هاجرت".فتشعر مختلف الشخصيات بالغربة و هم في وطنهم وبلدهم الأم،و بين ناسهم و أهلهم حتى الحيوانات و العصافير لم تسلم من الهجرة، لكن الواقع يفرض ذلك، ولكن للأسف الشديد حتى بعد الهجرة لا يرتاح البال ولا الوجدان الداخلي.

فيحس كل واحد منهم بالحنين لدياره وأهله وكل ما تخلى عنه في زمن الشدة و القسوة،فيعود إليها لكن ليس جسديا بل روحيا و نفسيا بعد شعوره بالألم والحنين إلى وطنه،و يعود إليها بعد أن ذاق مرارة الفراق و الغربة والشوق والحنين،لأن وطنه و دياره لم تعد دياره التي عرفها وعاش فيها متاعب الهجرة،لتنتج سلبيات على الفرد و الشخصية "البطلة رحمة"وأهلها ومجتمعها .

لعل الاغتراب الذي عانى منه مختلف الشخصيات في "المدونة"سببه العام هو ما حل ببلادهم،لكن كل واحد منهم حتى و إن كانت تضمه أسرة واحدة وأرض ومجتمع واحد،كذلك قرية أو منزل واحد،فإن الظروف تختلف من شخصية إلى أخرى حتى التفاصيل الصغيرة والبسيطة تلعب دورا كبيرا و تحدث فرقا مختلفا . وهذا ما سوف نتطرق إليه في الاغتراب المكاني عند مختلف الشخصيات والسبب الذي أدى إلى ذلك، لنصل في الأخير إلى نهاية الاغتراب المكاني و ارتداد الذاكرة لما كانت عليه.

2_الاغتراب المكاني:

يرتبط الإنسان بالمكان ارتباطا وثيقا،فهو مكان النشأة ومكان الحياة وله دور هام في البناء الفني الروائي.

فالمكان يعد مكونا أساسيا في بنية السرد و لا يمكن تصوير حكاية أو رواية دون مكان،ليأخذ كل حدث مكان وزمان معين .

[1] الرواية،ص31.

وقد مثل عند حسن بحراوي "البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل فني"[1]...فالمكان هو الذي ستجرى فيه أحداث الرواية،لكنه يفقد علاقته بالمكان نتيجة الضغوطات الاجتماعية والسياسية والحروب الواقعة فيه، فيسعى إلى البحث عن بديل و عن متنفس آخر أملا في الراحة والاستقرار.

وللمكان دور مميز في إحداث الرؤية الواقعية التي تبعث في القارئ و في نفس المغترب روح و شعور خاص وفجوة نفسية،إذ أنه يعبر "عن الواقع غير المنسجم مع الذات،إذ نلمس خلف أستار المكان صيحات دفينة توحي بمعاناة التوتر والاضطراب والقلق ..."[2]

وذلك بعد أن غادرت رحمة وطنها ومسقط رأسها مكرهة،لتعيش رحلة جديدة تبدو لنا فيها تجليات الاغتراب والمعاناة بصورة تلقائية مباشرة و جد واضحة.

ولد اغتراب المكان مشاعر صعبة،ذلك عند وضع قرار الرحيل و الإصرار عليه "زاد إصرار عائلتها على الرحيل لما فقدت ابنها سميح إثر سقوط قذيفة مجهولة المصدر على سوق الخضر و الفواكه في عيد الأضحى"[3].

كان اغتراب الوطن لدى "رحمة"و عائلتها اغترابا مكرها مشبعا بكل تفاصيل الألم و الحزن على فراق ولدهم فلذة روحهم من جهة،و الاغتراب الذي ظهر نتيجة أسى الافتراق عن الوطن والأهل والأحباب .."قررت الرحيل إلى وجهة غير محددة الجغرافيا و المعالم،إنه الهروب،الهروب من الجحيم و الواقع الأليم الذي حل بين أهل البلد الذين خرجوا من رحم واحد،و جمعتهم القرية.

قرية "وادي الرمان"هي المكان الذي يشعر فيه جميع السكان بالألفة و الأمان و المحبة،فهي عبارة عن ريف جميل"تتعايش فيه جميع الديانات، فتتعانق أصوات المآذن وهي تدعو إلى الصلاة بأجراس الكنائس في بعض أحياء مدنه،في تناغم يشعر كل من يسمعه أن الانسانية والأديان هنا تعيش جنبا إلى جنب شعبه كريم مضياف،إذا نزلت فيه يوما يدفعك الحنين للعودة إليه حين ترحل"[4].فهذه القرية تشعر المغترب بالأمان و الراحة وتبعث في نفس زائرها الحنين والشوق للعودة إليها و التمتع برؤيتها ...

[1] حسن بحراوي :بنية الشكل الروائي (الفضاء،الزمن،الشخصية)،ط2،الدار البيضاء ،المغرب،2009،ص29.
[2] الرواية ،ص199.
[3] أحمد علي الفلاحي :الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري(دراسة اجتماعية نفسية) ،ص85.
[4] الرواية،ص75.

من خلال وصف الروائية لهذه القرية،نلتمس فيها تداخل الأجناس و الديانات المختلفة،لتخلق من خلال هذا معنى إنساني،فقرية وادي الرمان سميت بهذا الاسم "لأن أهلها القدامى كانوا يغرسون على ضفاف أودية وشعاب أراضيهم أشجار الرمان"[1].

ينطلق الاغتراب في الرواية من خلال مغادرة البطلة "رحمة"مسقط رأسها الذي عاشت و ترعرعت فيه فقد"ولدت رحمة سنة 1988 و تربت في قرية وادي الرمان بريف بلدهم الجميل"[2]..و لقد أحست البطلة بفقدان ارتباطها بوطنها،و ذلك بمجرد مغادرتها قريتها التي عاشت و ترعرعت فيه،فلم ترى أي جدوى يمكن أن تحققها عند البقاء فيه.فالاغتراب المكاني هو ما يعني النزوح و الابتعاد و الارتحال عن الوطن، فالإنسان يعيش فيه وحيدا منكسرا مشتاقا إلى أهله وذويه وأصحابه،ينتج عن تشابك هذه العلاقات مع مختلف الشخصيات ما يسمى"بالمكان الأليف أو المعادي و الذي يتخذ بدوره صفة المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله و عنفه الموجه لكل من يخالف التعليمات و تعسفه الذي يبدو ذو طابع قدري..."[3]

الحالة النفسية للمغترب هي التي تحدد طبيعة ونوع المكان _إن كان_أليفا مريحا أو معاديا، يشعر فيه الإنسان دائما أنه في حالة نفسية كئيبة.

تمتلك الشخصيات أحاسيس مختلفة للمكان،فمنه من يشعر بالألفة لذلك المكان و بالعداوة إلى مكان آخر.فرواية حتى العصافير هاجرت تقوم على المكان،و هو عنصر أساسي من أجل سرد أحداث الرواية،فالمكان في هذه الرواية يشكل حيزا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه،فهو ما يجعل من العمل الروائي فضاءا كبيرا يحوي كل العناصر الروائية،بما فيها حوادث و شخصيات و ما بينها من علاقات،و هو المنظم الأول لأحداث الرواية وتطويرها. ولعل أهم مكان في هذه الرواية هو القرية من خلال أهل القرية التي تدور حولهم عناصر الاغتراب المكاني، فقد وصفتهم الروائية بأنهم"إخوة ومتحابون وقد ألمت بهم هذه المحنة ليمتحنهم الله على إيمانهم ..."[4] فأهل هذه القرية الرائعة جمع بينهم حب الخير، والإيمان بالله عز وجل، فقد امتحنوا بهذه الصعوبات والمشاكل حتى يثبتهم الله سبحانه وتعالى على خطى إيمانهم.

[1] الرواية،ص76.
[2] الرواية،ص75.
[3] هنية مسقوق :{تجليات الحس الاغترابي في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح}،ص483.
[4] الرواية،ص53.

للأسف هذه كانت بداية رحلة الاغتراب الحقيقية وذلك من خلال الهجرة فقد كان"أول من هاجر القرية العصافير التي كانت تنام وتستيقظ على أصواتها رحمة.حينما تأوي للمبيت على الشجرتين المقابلتين لغرفتها،هاجرت قرية الرمان هروبا من دوي الانفجارات، حتى هي خافت"[1]..

لم تسلم العصافير حتى هي من الهجرة بعد أن تحولت القرية الآمنة التي يشعر فيها حتى الزائرين بالأمان إلى قرية تسمع فيها سوى صوت الانفجارات والحروب فلم يسلم الجميع من الهجرة " فكان كل يوم يمر على القرية إلا وهاجرت عائلة منها تبحث عن مكان آمن لها، تاركة وراءها بيتها وأملاكها على حرقة كبيرة، وعلى حلم جميل، حلم العودة إلى الديار"[2].كان كل يوم يمر على القرية، يزداد فيه الألم والحزن في نفوس أهلها، فقد فرض الواقع عليهم "الهجرة".

ترك أحلامهم وأملاكهم وبيوتهم التي تأويهم. وهنا يكمن وجه الاغتراب للقرية"في صباح يوم من الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر 2012 خرجت رحمة وعائلتها تاركين بلدهم الجميل ومنزلهم وقريتهم"[3]. ومما ورد في حقها من وصف "أعطت الطرق الفرعية والطريق الرئيسي للقرية رسما هندسيا جميلا على شكل خارطة لعدة قطع أرضية ومجمعات سكنية متفرقة، وكانت الطرق الفرعية والطريق الرئيسي حزاما لها يجمعها في ذلك المكان من الكرة الأرضية،كأنها تتحدى العوامل بكل أنواعها باعتبارها جزءا لا يتجزأ"[4].

استعملت الروائية في وصفها للقرية وصفا حيويا يبعث في القارئ إحساسا جميلا وشغفا لرؤية هذه القرية الجميلة.لكن سرعان ما ينقلب هذا المكان من مكان مألوف إلى مكان معادي،حيث برز ذلك في رواية "حتى العصافير هاجرت"في مقاطع واضحة من الرواية.

أضحت القرية مع مرور الأيام مشوهة فاقدة للألفة والأمان، بل أضحى دالا على اغتراب ساكنيه، فكل الصور البسيطة التي صورت مناحي الحياة المختلفة في هذه الرواية كشفت عن ثغرات الحالة النفسية للمغترب. فتحولت القرية في رواية "حتى العصافير هاجرت" من مكان أليف إلى مكان معادي وشكلت رمزا للإغتراب المكاني.

[1] الرواية،ص195.
[2] الرواية،ص195.
[3] الرواية،ص208.
[4] الرواية،ص79.

الخيمة:

ولعل أبرز مكان كان معاديا في رواية حتى العصافير هاجرت هو الخيمة التي أصبحت مشوهة جدا فاقدة لأبسط الحاجيات من أجل العيش بسلام وأمان فاقدة كل معاني السكينة، وتعد أبرز و أوضح دليل على اغتراب ساكنيها"كانت الحالة في المخيم جد قاسية ومؤلمة فهي نفتقد لأبسط الأشياء.وأكثر ما دل على هذا الاغتراب كلام والد رحمة الذي وجهه له عن أهمية الخيمة لا نجد ما يؤوينا، فالخيام كلها مشغولة وسنموت من شدة البرد هذه الليلة"[1]. فغربة المكان جد موحشة، ووصف أهمية الخيمة من طرف خالد يشعر القارئ بالألم والحزن على هذه العائلة البسيطة، التي تسعى فقط للدفء كي لا تموت من شدة وقسوة البرد، " فاستقرت عائلة رحمة في خيمة من خيام اللاجئين في بلد مجاور لبلدهم، وكانت أعداد اللاجئين تزداد يوما بعد يوم، وتركوا بلدهم فارين من جحيم الحرب هناك آملين أن تعود الأمور لطبيعتها والعودة إلى وطنهم".فالاغتراب المكاني الذي شكله المخيم لا ينتهي إلا عند العودة إلى وطنهم .

الخيمة في فصل الشتاء والثلوج تتساقط فوقها مكان جد قاس، يقول خالد: "لقد أزحت كتلة الثلج التي كانت فوق الخيمة وأزحت معها خطر سقوطها والخيمة على رؤوسنا..."[2] نلمس من خلال هذه العبارة خطورة كتلة الثلج الكفيلة بإنهاء حياة العائلة بأسرها. وهذه من أبسط العبارات التي دلت على اغتراب رحمة وعائلتها وبالأخص الأيام الأولى"في المخيم، كانت ثقيلة ثقل المأساة، فعصب عليهم التأقلم مع واقعهم الجديد..."[3] ليشكل المخيم مكانا معاديا لنفسيتهم الحزينة و المحطمة.

وينطلق اغتراب والدة رحمة نهاد المكاني من خلال مغادرتها بيتها إلى الخيمة التي فيها "استمرت والدتها على تلك الحالة من التذكر تسترد مع الذكريات حلاوة الحياة وجمالها، فألهمتها تلك الذكريات بعض الوقت عن حالتها في المخيم وواقعها الجديد الذي حل وخطف منها بحلوله لحظات الحلم والسعادة "[4] .

المخيم بالنسبة لنهاد مكان معادي جدا لها فقد خطف وسلب منها الواقع الجديد المعاش لحظات الفرح والسرور، وأسكن فيها الرعب والخوف. فهي تشعر بالاغتراب الدائم في الفضاء الذي حلت فيه فهي محاصرة وفي

[1] الرواية،ص31.
[2] الرواية،ص32.
[3] الرواية،ص218.
[4] الرواية،ص45.

مكان مغلق. تنتهي رحلة الاغتراب المكاني في المخيم والخيمة بالتحديد عندما "جمعت عائلة رحمة بعض المال وباع خالد سيارته وعقدت العزم على الهجرة بعيدا عن المخيم،تهجر إلى فضاء آخر، علها تجد فيه متنفسا أو شيئا من الحلم، وخرجوا يهيمون في خريف سنة 2015، فكانت الرحلة شاقة بثقل الأزمة ومتعبة بأوجاعها وآلامها"[1].

تعد ظاهرة الاغتراب أكثر الظواهر وضوحا وتجليا في الخيمة والمخيم بصفة عامة،هذا الأخير الذي كشف عن طبيعة الصراع بين العائلة والشعور بالضياع والاغتراب، فتحول المخيم إلى مكان معادي بعدما كان أملا ضعيفا للاستقرار فيه، ليجسد بذلك الاغتراب في أبشع وأشد صوره وملامحه لأنه لم يتمكن من حماية هذه العائلة المنكسرة والتائهة.

لم يعد المخيم مكانا أليفا بالنسبة للبطلة من خلال قولها"خرجت أنا في جمع من اللاجئين، نبحث عن جغرافية وحياة أفضل من المخيم، ووصلنا إلى هنا كما ترين .ثم أعادت قولتها:_لم يستقبلونا بالورود..فهم لا يريدوننا بينهم؟"[2].ليحمل المخيم على عاتقه كل ذكريات الأسى والاغتراب.

البيت:

يعتبر البيت أحد الأماكن المغلقة بالنسبة للمجتمع،و مكانا مفتوحا وواسعا بالنسبة لأفراد العائلة الذين يعيشون فيه.لنجد والدة رحمة مستلقية شاردة الذهن "تستذكر /.../ منزل العائلة ومطبخ المنزل حينما كانت تحضر لعائلتها أحسن الأطباق وألذها..."[3]كل الذكريات البسيطة حول البيت أصبحت دالة على اغتراب ساكنيه،كاشفة عن حالتهم النفسية.

والد البنت يقول"يحلو لي الجلوس في حديقة المنزل خاصة لما أكون بصدد الكتابة أو إعداد المحاضرات والمداخلات يأتي الإلهام في هذا المكان..."[4] فالبيت أثر في التكوين النفسي هنا للشخصية، وجعله يحس بأنه مستقر في حالته النفسية، فالمكان الاغترابي هنا كشف لنا عن مدى إلهام وجدان الشخصية من أجل القيام بإعداد الدروس والمحاضرات.

[1] الرواية،ص224،225.
[2] الرواية،ص232.
[3] الرواية،ص44.
[4] الرواية،ص64.

"كانت تلازمه في غرفته كل ليلة، لقد اعتادت ذلك لأن الحاج صلاح الدين لما يعود إلى البيت في أيام عمله، في أراضيه يستريح قليلا..."[1]التلفاز، الغرفة...هي وصف بسيط من الروائية للمكان، لتبعث في القارئ الإحساس باغتراب عند ساكنيه، فبمجرد مغادرة البيت الأساسي للعائلة لم تجد مكانا وبيتا يساعدها على الاستقرار. "كان كل يوم يمر على قرية وادي الرمان إلا وهاجرت عائلة تبحث عن مكان آمن لها،تاركة وراءها بيتها وأملاكها على حرقة كبيرة، وعلى حلم جميل، حلم العودة إلى الديار..."[2] يتمثل الاغتراب المكاني هنا في البيت أو المنزل الذي أصبح من الضروري الاغتراب عنه، لأن هناك دافع قوي يفرض على عائلات قرية" وادي الرمان" ترك منازلهم باحثين عن مكان آمن،إنها الحرب التي تأكل الأخضر واليابس وتشرد العائلات وتدعو إلى البعد عن بيوتهم للفرار من الحرب وعدم الوقوع في أسر الأعداء.

أصبح المنزل مكانا موحشا وقاسيا على نفسية رحمة قائلة في ذلك"أشرع ببطء في التحرك والاستيقاظ /.../ أشرع في تفقد نافذة الغرفة ونوافذ المنزل، لعلي أجد سببا لقشعريرة البرد التي انتابتني وأحس بها فأجدها موصدة وأردف راجعة إلى فراشي خاوية الوجدان"[3].

أصبح المنزل باردا رغم وجود التدفئة، فهو خال من الحنان والألفة والراحة...كان للبيت الدور المميز في إحداث الأمان والطمأنينة النفسية، إلا أنه أصبح مخيفا باردا خال من كل معاني الحب. وهذا المقطع الروائي يبين لنا أهمية البيت عندما يكون محل سعادة ما يخلفه من أضرار نفسية عنه انقلابه إلى مكان معادي ومأساوي للنفس والوجدان. الروائية في هذا المقطع تنقلت إلى مكان لجأت إليه البطلة كلما حست بضيق وشعور حزين، لنلاحظ ارتباط الاغتراب المكاني بالاغتراب النفسي ارتباطا وثيقا ..فالاغتراب المكاني يولد اغترابا نفسيا..." وعند عودتها إلى البيت سألها والداها عن إصابتها.قالت لهما أنها سقطت على الأرض"[4].

يرتبط الإنسان بالبيت ارتباطا وثيقا، فهو مكان النشأة ومكان الحياة الخاصة، يسعى دائما للعودة إليه، ليشعر بالراحة والهناء، فقد لجأت إليه عندما أحست أن المدرسة مكان الضيق على قلبها من كثرة المشاكل بينها وأصدقائها والأساتذة.كذلك نجد رحمة اختارت "غرفتها بالطابق الأول من منزلهم الجديد ونافذتها تطل على

[1] الرواية،ص89.
[2] الرواية،ص195.
[3] الرواية،ص203.
[4] الرواية،ص95.

الطريق الرئيسي للقرية وعلى الشجرتين اللتين غرسهما والدها أمام المنزل وكانت تداوم على سقيهما"[1]. بقيت سوى ذكريات تلجأ إليها البطلة عندما تشعر بالاغتراب المكاني الشديد فتتذكر ما حصل في تلك الأيام الجميلة...أيضا "أصبحت رحمة تتشوق إلى العودة إلى بيتهم وهي في الكلية تواصل دراستها"[2].فراحة الإنسان تكون في المكان الذي يبعث في نفسه جمالية الأحلام والألفة.لكن لم يدم هذا طويلا،سرعان ما تحول البيت في رواية"حتى العصافير هاجرت"إلى مكان يناقض الأمان،و ذلك بسبب ما عاشته القرية من قسوة الأيام، ليكون بهذا أقصى درجات الاغتراب.

الوطن:

حب الوطن شعور فطري في النفس، يولد مع الإنسان وتختلف طريقته من شخص إلى آخر، وقامت الروائية بتوضيح ذلك من خلال هذه العبارة"قد يختلف اثنان في حب الوطن أوله فهم خاص لحب الوطن،لكن عندما يتحول الاختلاف في حب الوطن إلى مذهب تدميري،فسيخسر الجميع الوطن. ولما نخسر الوطن نصبح بلا وطن، ولا نجد من يوطئنا لأننا أصبحنا في تعداد اللاجئين إن وجدنا من يقبل بنا كلاجئين، وأي لجوء ؟"[3].

إن كان الشوق و الحنين إلى الوطن وأهله سببا من أسباب الاغتراب المكاني، إلا أن الإحساس بالاغتراب المكاني لا ينتهي عند الاشتياق إلى أرضه و التفكير في الرجوع إليها..."لم نخرج من وطننا و بلدنا ننشد الغزو والاعتداء أو اللصوصية، لقد خرجنا عزلا ننشد مكانا آمنا نأوي إليه، سيعيننا الله، سيعيننا الله، سيعيننا الله."[4] لم يتركوا وطنهم كرها فيه، بل حثا عن مكان آمن يحمي نفوسهم جميعا،داعين المولى عز وجل بأن يعينهم وييسر طريقهم هائمون لا يعرفون مكانا يجمعهم ويلم شملهم.

أما عن والدة رحمة فهي تبكي بحصرة كبيرة "على تلك الأيام السعيدة التي عاشوها في قريتهم ووطنهم، تقاسموا فيها المودة و الرحمة، و هم يملؤون الفضاء بأحلام السعادة من أجل مستقبلهم داخل جغرافية وطنهم"[5]. إذ أصبح الاغتراب المكاني يتلاعب بعاطفة شخصيات الرواية و أحاسيسهم المرهفة،و ذلك بسبب الانفجارات

[1] الرواية،ص141.
[2] الرواية،ص147.
[3] الرواية،ص189.
[4] الرواية،ص217.
[5] الرواية،ص218.

التي حلت بوطنهم الذي تقاسموا فيه المودة و المحبة.و لقد عاش الوطن أيام جد صعبة و حزينة.ليغادره العديد من السكان،حتى العصافير لم تستطع البقاء فيه...لكن في ظل ظروف الهجرة و الرحيل،بقى ارتباطهم بوطنهم الأصلي و شعورهم بانتمائهم للمخيم الجديد و حنينهم إلى الوطن الأم هاجسهم الدائم الذي لا يزول و لا يمحى حتى مع مرور الأيام.

كانت رحمة تحلم دائما لدراسة الطب خارج بلدها قائلة في ذلك "فلا أجمل من أنامل تعيد لقلب ترهل حيويته، وكانت تحلم بالعمل خارج بلدها في دولة من دول وطنها الكبير لتجمع المال وتعود إلى مسقط رأسها وتفتح عيادة تخصص جزءا من خدماتها للفقراء و المحتاجين"[1].

من خلال اغتراب المكان خاصة بالنسبة للوطن استنتجنا أن الاغتراب يندرج ضمنه قسمان:

اغتراب الهجرة:

يدفع الفقر و الحرمان و البؤس الكثير من الناس إلى هجرة أوطانهم،كما يدفعهم إلى ذلك الاستعمار وممارساته..."[2] مثلما حل مع أهل قرية وادي الرمان الذين هاجروا وطنهم بحثا عن الأمان و الاستقرار إثر الانفجارات و الحروب التي حلت فوق رؤوسهم...كل هذه الأسباب تدفع الإنسان إلى اتخاذ قرار الهجرة والابتعاد باحثا عن الأمن و الأمان، سعيا وراء الرزق وجمع المال من أجل تأمين حياة كريمة من أجله و عائلته.

اغتراب الأسر:

نكتفي هنا بعائلة رحمة و معاناة هجرتها و اغترابها عن مسقط رأسها. فمكان ولادة و ترعرع البطلة ظل أعظم هاجس لها،و هذا ما ظهر من خلال مقطعها الروائي،تناولت فيه كلمات معبرة و محملة بأسى الحنين والشوق لبلدها الذي تسعى جاهدة من أجل الرجوع إليه."لم تفهم رحمة ما يحدث في وطنها،و حاولت في داخل نفسها إيجاد تفسير له أو تبرير .فلم تجد أي وصف أو تفسير أو تبرير لما يحدث؟."[3]مسألة الوطن مسألة صعبة عويصة،خاصة عندما يكون الوضع غير مستقر،حاولت رحمة أن تفهم ما يحصل في وطنها العزيز إلا أنها لم تستطع فهم شيء،ليولد لها هذا نوعا من الاغتراب النفسي الأليم من خلال المكان .."فؤاد و سحر كانا منذ انطلاق الأزمة في وطنهما يتابعان أخبارها لحظة بلحظة،و يتحسران على ما يحدث في وطنهما احسرا كبيرا، و لما شاهدا

[1] الرواية،ص139.

[2] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،ص91.

[3] الرواية،ص212.

أخبار الجموع الأولى من المهاجرين من وطنهم، دفعتهم النخوة و الحنين إلى أهلهم "[1]..ألم الفراق عن الوطن من أصعب الآلام و من أشدها على قلب الانسان،فمن منا لا يشتاق إلى أرض وطنه العزيز،فصحيح أن المغترب يشعر بمرارة الاغتراب عن وطنه،لكن بمجرد التفكير فيه و الشعور و الاهتمام به،يجد المغترب نفسه تميل للسعادة ولو بقدر بسيط، وهذا ما حدث مع فؤاد و سحر...و منه نستنتج أن الاغتراب المكاني لا سبيل للتخلص منه،فهو حتمي و رسمي مرسخ بالشوق و الحنين،لا يهدأ أبدا إلا بعودة المغترب إلى وطنه. "تمتلك الشخصيات أحاسيس متناقضة للمكان،فهي تشعر بالألفة لمكان و بالعداوة لمكان آخر، و الانتماء إلى المكان هو الذي يحدد طبيعة العلاقة بالمكان من ناحية الغربة و الألفة، فالمكان الأصلي هو المكان المحوري بالنسبة للشخصية إذا تحققت فيه مطالبها و رغباتها،و وجدت فيه الجانب الحيوي،و في حالة افتقار هذا الجانب تبحث الشخصية عنه في مكان آخر و من ثم يحصل الانفصال عن المكان المركزي و الاتصال بالمحيط"[2]. تحدثنا الروائية هاجر عن مدى تأثير حب الوطن في نفوس الشخصيات .موضحة ذلك في مقطع روائي من خلال قولها:" لم نخرج من وطننا و بلدنا ننشد الغزو و الاعتداء أو اللصوصية"[3]...لتبين لنا هنا مدى تمسكهم بوطنهم وحبهم اللامتناهي له، إلا أن الظروف هي من فرضت ذلك الأسى لتشكل بوضوح معنى الاغتراب المكاني للوطن.وجدنا في ذلك قول رحمة في داخلها عن وطنها الذي اغتربت عنه،ليس كرها فيه بل الواقع المرفرض ذلك.فقالت:

"من أراد العزة

في غير وطنه

سيعيش المذلة

زمنا من عمره

جنينا على أنفسنا

لما جنينا على الوطن

[1] الرواية،ص229،230.

[2] كريم أميري:{الاغتراب المكاني لدى المثقف في روايات سعد محمد رحيم بعد 2003م}،مجلة آفاق الحضارة العربية،ع1، 144هـ،أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية،ص13.

[3] الرواية،ص217.

كانت فيه عزتنا

ولا يجري الآن دمع الجفن"[1] ...إن كلمة وطن كغيرها من الكلمات التي تناولها الباحثون والروائيون لشدة ارتباطها بدم الإنسان .ومن اغترب عن وطنه بسبب قسوة الظروف يعيش المذلة مدة من الزمن، ففي الوطن العزة والمحبة التي نفتقدها في غير وطننا الأصلي.

وللأسف الشديد لم يتم الترحيب بعائلة رحمة في البلد الآخر فنجد"تجمع حشد من شرطة ذلك البلد وشرعوا في صدهم ومنعهم من دخول بلدهم ودفعهم إلى الوراء لصدهم"[2] ...فما أقساه من شعور اختلطت فيه آلام الذل والحسرة على عزة الوطن.

يقول فؤاد لزوجته سحر:"ما يحدث في وطننا مأساة حقيقية؟

ردت عليه قائلة:نعم،نعم، هي مأساة حلت بنا

قال زوجها:هذا قضاء و قدر،و لا مرد له"[3]

فؤاد وسحر هنا شعرا بالضياع ومفارقة الحياة نتيجة الابتعاد عن الوطن الحبيب،و جاء ذلك بعد سماعهم لما حصل لوطنهم.

المدينة:

ومما ورد في الرواية من وصف للمدينة، نجد "المدينة الأثرية التي أصر السي عبد القادر على زيارتها وجدها تتموقع في مكان عال و محصنة في قلعة،يتوسطها شارع مستقيم تحيط به الأعمدة و أقواس النصر"[4]..من خلال هذا فإن الموقع الجغرافي للمدينة عبارة عن مكان استراتيجي، يجمع على الإثارة في نفوس الزائرين من اشتياق وفضول لمعرفة ما يوجد فيها. ومن مظاهر الاغتراب نجد قول الزائر "قبل قدومي إلى بلدكم العزيز كانت تراودني رغبة كبيرة في زيارة بلدكم الجميل وزيارة المدينة الأثرية القديمة "المنارة"وقد كنا في طريقنا إليها لكنني أضعت الطريق

[1] الرواية،ص231.
[2] الرواية،ص231.
[3] الرواية،ص230.
[4] الرواية،ص185.

حينما سلكت طريقا آخر أدى بنا إلى رحابكم الكريمة..."[1] تعتبر المدينة التي تجمع شتات الشخصيات من جميع الجنسيات المختلفة بكونها مدينة أثرية .ففي "صائفة سنة 1996،جاء "علي"عم رحمة وعائلته من المدينة لقضاء أيام بالريف عند والده بقرية وادي الرمان،كما اعتاد كل سنة،الحنين يدفعه لذلك، فمسقط رأس الإنسان وجغرافيا طفولته حنينها ليس له مقياس يقاس به"[2]..فالاغتراب المكاني دوما يلاحق الإنسان مهما كان المكان أليفا،فحنين علي للريف مسقط رأسه لا يترك مخيلته،و أصبحت المدينة المكان المعادي له هنا في هذه اللحظة، لأنها من فرضت عليه الابتعاد عن الريف.

أما عن اغتراب الحاج صلاح الدين جد رحمة "فقد شد الرحال وتوجه إلى المدينة وانظم إلى الداعين للتعقل و الحكمة،في رحلة شاقة،شاقة هذه المرة؟"[3]...احتلت المدينة حيزا واسعا في الرواية،فهي مكان اغترب وهاجر إليه الحاج صلاح الدين بعدما احتلت قرية وادي الرمان.عاش الحاج صلاح الدين حياة قائمة على الترحال، للأسف لا يعرف الاستقرار بمكان واحد،ليس حبا في الهجرة و الرحلة إنما لعدم وجود واقع ملائم له،فأصبح يرفض القرية لأنها أصبحت لا تساعد رغباته.مما خلق في نفسيته و حالته حالة شعورية حزينة.ألا وهي عدم الاستقرار التي أثرت فيه، وتركت له من القلق والضياع شيئا كبيرا، ونظر للرغبة الشديدة في إيجاد موطن جديد له يتوافق معه ليتجه إلى المدينة في رحلة تحمل الشقاء والتعب والألم الكبير.

3_الاغتراب الزماني:

"يعتبر الاغتراب الزماني من الأمور الغامضة،فالارتباط بين الإنسان و الزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، وبالتالي تأثيره النفسي عليه أكثر غموض أيضا،فالإنسان قد يشاهد شيئا معينا أو يحس به بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة بينما يحتاج الإنسان بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية"[4]. يرتبط الإنسان بالزمن أكثر من المكان، فالزمن يبعث فيه تأثيرا نفسيا،يولد في نفسيته الشعور بالقلق و الحزن، عكس المكان الذي يخلق فيه تأثيرا حسيا.فالزمن يشغل العقل ذهنيا وفكريا،أما المكان فيشغل الحواس الخمسة أو

[1] الرواية،ص181.
[2] الرواية،ص98.
[3] الرواية،ص195.
[4] إيمان العامري:{اغتراب الزمن و انشطار الذات قراءة في رواية نجوم أريحا لليانة بدر}،مجلة المخبر،ع11، 2015،جامعة بسكرة ،الجزائر،ص436.

إحداها ...ومنه نستنتج أن الزمن يرتبط ارتباطا وثيقا بالإدراك النفسي على عكس المكان و ارتباطه بالإدراك الحسي.

"مثل الاغتراب الزماني نمطا آخر من أنماط الاغتراب حين تناول الزمن بوصفه قوة فاعلة مؤثرة في الإنسان، إذ بات الزمن يمثل محورا أساسيا في تشكيل ظاهرة الاغتراب الانساني و ذلك من خلال التوافق النفسي و الانسجام الذاتي مع اللحظة التي يحياها الفرد، وظهور حالة من التوتر بفعل تلك البذلات النفسية،و ربما تغير المعالم المادية للمكان لأن الزمن يمثل قوة فاعلة تشمل الإنسان و المكان معا"[1]...ليعتبر الزمن من خلال هذا قوة مؤثرة نفسيا أكثر من المكان،و يمثل بدوره المحور الأساسي في تشكيل ظاهرة أو نوع من أنواع الاغتراب عند الإنسان.

"إن مسألة الزمن الأبدية هذه...هي للروائي دائما قائمة دائما صعبة المرتقى، دائما تلح على تأثير التقادم ومضي الزمن تأثير الماضي والهوة المظلمة، بمدلولات الواقع،و على تأثير الإيجاز والإنشاء والشكل بمدلولات الترتيب الأدبي"[2]...فالزمن مسألة تخضع لها الرواية،فهو يتيح لها الترتيب الأدبي الروائي،و ينظم و يدفعها للمستقبل والمزيد من الأحداث فهو المحرك الأساسي للرواية.ليعد الزمن الروائي عنصرا مهما من العناصر التي تقوم عليها الرواية العربية الحديثة والمعاصرة .

ترتبط الشخصية بالزمن في رواية حتى العصافير هاجرت ارتباطا جدليا غامضا ومثيرا للغاية، وتستمد أحداثها وغموضها الشديد من الزمن، فالزمن محور الكون و الحياة.

كما يشكل كل من الماضي والحاضر والمستقبل الزمن الداخلي والخارجي للإنسان الذي يرتبط به ارتباطا عميقا يترك أثره في حياته،فالزمن ذو فعالية أي بمثابة شعور قوي يترك دوما أثره بغض النظر عن مدى سلبية وإيجابية هذا الأثر، ففي حياتنا اليومية نكون دوما إزاء نقطتين أساسيتين الأولى هي الآن أو اللحظة الحالية،أما الأخرى فهي شعورنا بجريان الزمن و تدفعه من الماضي إلى المستقبل"[3] ...فعقارب الساعة ليست وحدها من تحدد الزمن،بل الماضي و الحاضر والمستقبل،كلهم يشكلون الاغتراب الزمني الداخلي و الخارجي للإنسان.و للزمن قوة

[1] أحمد علي الفلاحي:نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،ص75.

[2] أ.أ.مندولا:الزمن و الرواية،تر بكر عباس،ط1،دار صادر للطباعة و النشر ،بيروت،لبنان،1997،ص23.

[3] إيمان العامري :{اغتراب الزمن و انشطار الذات قراءة في رواية نجوم أريحا لليانة بدر} ،ص437.

فاعلة لا يمكن الاستغناء عنه بأي شكل من الأشكال، فاللحظة التي نعيشها تمثل الآن، والماضي دائما يدفع للمستقبل.

إن الزمن الحاضر في هذه الرواية مر وصعب وعصيب بجميع أوقاته وتفاصيله التي يحملها،و ما قد يحدث فيه من تغيرات يزيد من أحزان وآلام شخصيات الرواية.خاصة رحمة و عائلتها،و هذا ما بعث فيهم جميعا إحساس صعوبة ومرارة الحياة وثقلها الكبير عليهم لتصبح بائسة وحزينة لا تعني لهم شيئا.

كانت الأيام تمر على "أهل القرية كبارهم وصغارهم على ما ألفوه من عيش هنيء، راضين بعيشتهم التي قدرها الله لهم فلاحوهم يزرعون أراضيهم ويجنون ثمارها ويبعثون أبنائهم إلى المدارس لطلب العلم و يحثونهم عليه، وأبنائهم يتربون على ما وجدوا عليه آبائهم،من عادات الكرم وتقاليد الأكل و اللباس."[1]...وصفت الروائية جمال القرية في زمنها،قبل أن تعيش الاغتراب الزمني، فكانت حياة هنيئة سعيدة والحمد لله راضين بما رزقهم الله من حب قريتهم وزرعهم وأطفالهم،لكن يتغير الحال ودوام الحال من المحال،ليصبح هذه الأشياء كلها سوى ذكريات جميلة.

فيشكل الحاضر و الواقع المرير والصعب، الذي تعيشه الشخصية في المخيم،أحد أهم أسباب اغترابها عن حاضرها،و ارتدادها وهروبها دوما إلى الماضي الجميل علها تجد فيه ما يسعدها،و يخفف عنها آلامها وأحزانها الشديدة،و تعطي و تحجب عنها غربة الحاضر وقسوته...إذ نجد بطلة الرواية رحمة تعبر عن رؤيتها للزمن من خلال تجربتها في الاغتراب عن قريتها وادي الرمان...فقد ولد المخيم في زمن الحاضر للبطلة،نفسيته محطمة وجرحا عميقا داخليا في الذات سبب لها قلقا وضياعا "توجد في ماضينا و حاضرنا الأشياء الجملة والحلوة، والأشياء السيئة والقبيحة أيضا، وما أقبح تلك الأشياء السيئة خاصة حينما نكون نحن من أوجدها بيننا،لتعود وتطاردنا ذكراها الأليمة و تنغص علينا حياتنا وتنغص علينا حتى لذة الحلم والتذكر."[2]...فحالة الحزن والقلق الذي تعيشه البطلة شكلت إشكالا واغترابا زمنيا كبيرا،مع الزمن الذي تعيش فعند العودة إلى الماضي هناك ذكريات سلبية تدفعنا نحو المستقبل،و للأسف لا يوجد في المستقبل،و للأسف لا يوجد في المستقبل ما نتشوق و نحلم به،فالواقع نغص لذة الحلم و التذكر و الشوق...ف"الحياة ماض وحاضر ومستقبل، فالماضي ما عاشه الإنسان و أصبح من التاريخ والحاضر ما يعيش في لحظته،أما المستقبل فهو الذي يأتي من بعد،فالماضي و الحاضر يكونان للإنسان قدرا في

[1] الرواية،ص96،97.
[2] الرواية،ص46.

أحداثهما ووقائعهما،سيئة كانت أم جميلة،صاغها بإرادته أو بجهل منه،أما الآتي من الزمن فلا يدر الانسان بأحداثه حتى و إن اجتهد و منى نفسه بالأشياء الجميلة"[1]...تبنى الحياة على ثلاثة عناصر أساسية لا يمكننا الاستغناء عنهم أبدا،فبهم تمر و توالت الأيام،ماض و حاضر و مستقبل،فالماضي و الحاضر هو الذي يتحكم في نفسية الانسان يسعدها أو يتعسها أما عن المستقبل فهو مجهول لا يعلم ما سوف يحصل فيه.

الاغتراب الزمني حير خالد والد رحمة،حيث قال لابنته "نامي،نامي،في يوم غد حي و ميت...و ما أدرانا ربما سيكون يوما جميلا و نعود إلى ريفنا و ديارنا؟قال لها تلك الكلمات ربما للتأسي بها فالتفاؤل بالخير شيء جميل في كل الأحوال..."[2]

خالد إحدى شخصيات الرواية التي عانت من الاغتراب بأشكاله المختلفة،و هو ينظر إلى المستقبل القريب و المجهول،و لا يحمل أي أمل للعودة إلى ماضيه الجميل و لا العيش في مستقبل آمن و مستقر. فأخذ يتأسى مع ابنته رحمة بالتفاؤل بالخير و التمسك به،و ذلك من أجل أن يبعث في قلبها الطمأنينة في تلك الليلة الموحشة،لتنام مرتاحة البال آملة في غد أفضل إن شاء الله.

دوما مع استذكار الماضي الذي يجسد الزمن في رواية "حتى العصافير هاجرت "،نجد خالد والد رحمة هنا يقص عليه قصة ماضيه التي حضرها و عاشها في تلك الفترة ."ثم عاد ليحكي لابنته خاتمة القصة.و قال: مرت أيام و أسابيع منذ ولادة ابن نهى و معتز و لم تكن الكهرباء في ذلك الوقت بالقرى و المداشر و الأرياف "[3] يجسد هذا المقطع من الرواية مرور الزمن و مرونته،مع إعطاء صورة واضحة بمرور الأيام و الأسابيع من الزمن لتبين مدى وطول الاغتراب الزمني.

والاغتراب الزمني هنا جاء مرتبطا بوصف المكان الذي كانت عليه القرية في ذلك الوقت،و العيش في الظلام دون كهرباء و إنارة ..فقط شمعة تنير الليلة.و قد حقق اختلال في نفسية الشخصيات و اغتراب داخلي من حيث الشعور بعدم الانتماء و الاستقرار و الأمان.

[1] الرواية،ص46.
[2] الرواية،ص47.
[3] الرواية،ص43.

جاء هذا الاسترجاع لبيان المعاناة التي تعيشها مختلف الشخصيات في الرواية بالتحديد رحمة وعائلتها...إن ضغوط الحاضر النفسية وتفاقم الأحزان و الآلام في نفسية البطلة جعلها ترفض الحاضر و لما عليه من حالة نفسية صعبة و شوق وحنين إلى ماضيها الهنيء لها،فبطلة الرواية في مواجهة مباشرة مع الزمن الحاضر،فهي رافضة له تماما و"كان ذلك في شتاء عام 2013،في أحد المخيمات التي نصبت على حدود بلد مجاور لبلدهم،حينما هربوا من جحيم الحرب و الدمار"..فترفض الحاضر نظرا لما فرضه الواقع في هذه الفترة. أظهر خالد من خلال هذه الاسترجاعات نفسيته القلقة و المتوترة و الحزينة الهاربة من الحاضر إلى الماضي،فالارتداد للماضي هرب من الواقع الحزين و القاسي،و الرجوع إلى الزمن الماضي يتم من خلال الفرار من الحاضر إلى الماضي،لاسترجاع الذكريات الجميلة،التي تبعث في النفس الحب و الفرح و كل ما هو شعور إيجابي ولو لمدة قصيرة من الزمن ف"حلم العودة إلى الديار و القرية تمدد بتمدد أمد الأزمة"[1].

كان لاستحضار الماضي في رواية "حتى العصافير هاجرت" ما يبرره من أسباب واقعية و قوية،لأن البطلة رحمة في مواجهة حادة و شرسة مع الحاضر و ذاكرتها التي تدفعها للعودة.

من هنا تستنتج أن الهروب من الحاضر ليس فقط حبا في الماضي،بل صار حتمية تدفع الشخصية نحوه وذلك من أجل التخلص من الضيق و الغربة و الحزن الذي خلفه الزمن الحاضر في نفسية الشخصيات الروائية. البطلة رحمة رافضة للحاضر بكل أشكاله،تبحث دائما في ذكرياتها الماضية وحياتها التي كانت تعيشها لتسعد وتتخلص من الألم و الوجع الذي تعيشه.أما عن والدة رحمة "نهاد"فأخذت من الذكريات قسطا من أجل استرجاع راحتها النفسية ف استمرت"على تلك الحالة من التذكر،وكانت تسترد مع الذكريات حلاوة الحياة وجمالها فألهمتها تلك الذكريات بعض الوقت عن حالتها في المخيم و واقعها الجديد الذي حل وخطف منها بحلوله لحظات الحلم و السعادة"[2]..فالهروب إلى الماضي باستخدام الذكريات يعتبر سلاحا فتاكا من أجل مواجهة الحاضر.و نلاحظ من خلال ذلك نفسية نهاد الرافضة للحاضر بصفة تامة،فنجدها دوما شاردة في ماضيها،فتشعر بالأمل و السرور،عكس الزمن الحاضر الذي يتجلى عندها في معنى قسوة الحياة.

[1] الرواية،ص223.

[2] الرواية،ص45.

تستمر نهاد في تذكرها لتلك "الأيام السعيدة و الأعياد.تذكرت معها ذلك اليوم من عيد الأضحى لما وصلها نبأ وفاة ابنها سميح في انفجار قذيفة مجهولة المصدر في سوق المدينة،فعادت لوعيها الخارجي مع الذكرى لتعيش واقعها الجديد الذي أتى بثقل كبير تئن من تحته الجبال"[1].

نهاد تسعى دائما للهروب من الحاضر،يتذكر الأيام السعيدة و الأعياد،و المناسبات المختلفة من أعراس و أفراح لكن الماضي و الهروب له لا يحمل دوما ذكريات سعيدة،فالمسكينة نهاد تذكرت ذلك اليوم المشؤوم حين وصلها خبر وفاة ابنها العزيز سميح.هنا تصطدم و ترجع للحاضر،لكن للأسف تقع في متاهة الماضي الذي يحمل تعاسة خبر وفاة ابنها فلذة كبدها ليأتي الحاضر بثقله الكبير على نفسيتها،و هنا تقع هذه الشخصية في الاغتراب الزمني و متاهة النفس.

تفاجئنا نهاد هنا باسترجاعها للماضي و هروبها منه للحاضر الرافضة له في الوقت ذاته،فتعقد هنا بين زمنين متناقضين لا يناسبان شخصية والدة"رحمة".

"في الأيام الأولى لتناولها الدواء،كانت تنام نوما عميقا منذ أول الليل،لكنها حين استيقاظها في الصباح تشعر بغثيان و بعد أيام من تناوله لم يعد يؤثر فيها،و عادت نوبات الصداع النصفي و الأرق تضرب فيها بشدة كأنها تنتقم منها لأنها تناولت الدواء"[2]...شكل الاغتراب الزمني في الرواية حالة مستعصية،فالبطلة رحمة في صراع نفسي داخلي متواصل،لأنها لم تستطع أن تشفى منها لتلجأ إلى الدواء،حتى تهدأ و يرتاح ذهنها قليلا من الأرق الشديد الذي تعيشه البطلة.

"كانت الأيام الأولى على رحمة و عائلتها في المخيم ثقيلة ثقل المأساة،فصعب عليهم التأقلم مع واقعهم الجديد"[3]..الزمن الحاضر حبس أنفاس رحمة و عائلتها في المخيم،فالزمن يمر بسرعة بتزامن لحظات الفرح و السعادة و يمر ببطء شديد عند الحزن و الألم. وهنا الاحساس بالزمن في الوقت الحاضر جد متعب و قاس للنفسية و الحالة الشعورية لمختلف الشخصيات في الرواية.

[1] الرواية،ص46.
[2] الرواية،ص127.
[3] الرواية،ص218.

وصفت الروائية الاغتراب الزمني قائلة في ذلك:"الزمان أتى بضره الأليم ليحطم روافد الأحلام الجميلة التي كانت تغذي أفكار الانسان عندما تضيق به أحلام اليقظة/.../ هذا الزمان المأساوي أتى بجميع المآسي و الآلام ليحطمها بين الناس"[1]...و يزيد هنا قوة الاحساس بالاغتراب عن الزمن،و ذلك من خلال وصف الروائية للزمان وما أتى به من شقاء و ضر و حرمان.فيأتي هذا الزمان من أجل نزع و تحطيم كل جميل كانت عليه القرية و أهلها. "لم تنم رحمة و لا والداها تلك الليلة،كانت ليلتها محطمة الوجدان و في حالة اكتئاب حادة"[2]...رحمة و عائلتها في صراع قوي مع الليل الذي بدى طويلا بالنسبة لهم .كما أشرنا سابقا أن الزمن يطول على النفس عندما تكون في حالة اكتئاب حادة.

و"في هذا الوقت المتأخر من الليل،أيكون جميع الناس نياما إلا أنا؟ ألا يكون من هو مستيقظ في هذا الكون الكبير و الشاسع"[3]..فهنا رواية "حتى العصافير هاجرت" تعمل على استشارة حالة القلق،و تبين علاقة البطلة"رحمة" مع الزمن الحاضر و ذلك عن طريق التفصيل الممل لتفكير و شعور "رحمة" مع ظلام الليل.

"يمر الزمن علينا و نحن نعيشه بحلوه و مره،و تمر الأيام و هي دورة الحياة لا تتوقف في الكون بفعل مولد شخص أو بوفاته لكن دورة الزمن هذه لا تأتي لنا بأشياء لم نكن ننتظرها أو حتى نتوقعها/.../ و إن كانت سيئة تبدأ معها معاناتنا و نحاول جاهدين إلصاقها بغيرنا و نتحجج بكل الحجج على ذلك و قوام ذلك كله العقل"[4]. الزمن يمر و الحياة تستمر،يوم لنا و يوم علينا،هذه دورة الحياة لا تتوقف لأي سبب من الأسباب سوى بالوفاة أو بالميلاد.لكن هذه الدورة تأتينا بأشياء لم نكن نتوقعها أبدا...و عليه فإن الزمن في مساره و حقيقته تختلف عن الواقع و"لاختيار الأفضية الزمنية في النص المتخيل أدوارا تؤسس المنظومة الدلالية للنص،و إن توشحت في بعض الأحيان معظمها بالعديد من وسائل المراوغة،و أبرزها إغراق المتلقي في أتون التفاصيل السردية الخاصة بعلاقات الشخصيات و تفاعلها الدرامي مع مسارات الأحداث،و هو ما يمكن أن تفككه الممارسة التأويلية"[5].

---

[1] الرواية،ص198.

[2] الرواية،ص200.

[3] الرواية،ص206.

[4] الرواية،ص188.

[5] علاء عبد المنعم إبراهيم:{شعرية الاغتراب في رواية بروكلين هايتس لميرال الطحاوي}،مجلة التواصل الأدبي، ع12،ديسمبر2018،جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر،ص47.

خلاصة القول للاغتراب الزمني في رواية حتى العصافير هاجرت قول الروائية "هاجر ميموني "في هذا المقطع"تستمر الحياة على الكرة الأرضية كما قدر الله لها أن تكون،فالشمس تطلع من مشرقها و تغرب من مغربها،و لا الليل يسبق النهار و لا النهار سابق الليل،و تمر الأيام و الأسابيع و الشهور،و تمر الفصول و السنون و هكذا،و لا يستطيع الإنسان مهما بلغ من العلم و المعرفة أن يغير من نواميس الكون بما يرتضيه لنفسه، فهو عاجز عن تأخير وقت الليل حتى و إن استطاع إنتاج الضوء لنفسه"[1]...الحياة تستمر دون توقف على الكرة الأرضية ولا تدري نفس أين تلقى ملاقاها، وكل شيء يسير كما قدره الله تعالى،فالإنسان مهما بلغ الدرجات والمناصب العليا من العلم و المعرفة لا يستطيع تغيير شيء إلا بفضل الله.و الوقت كالسيف إن لم نقطعه قطعنا.

4_الاغتراب الاجتماعي:

هو الذي يعني باختصار"شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع كالشعور بالانفصال عن الآخرين،أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع،أو عن السلطة السياسية الحاكمة إضافة إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة أو بالتشاؤم واليأس وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد"[2]...فالاغتراب الاجتماعي منتشر بكثرة بين الناس،ووجدناه أيضا منتشر وواضح في الرواية بين الشخصيات والمجتمع الذي تعيش فيه.حيث يتمثل في "شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين والبرود الاجتماعي،أي ضعف الروابط مع الآخرين و قلة أو ضعف الإحساس بالمودة و الألفة الاجتماعية معهم وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي"[3]...يلعب المجتمع دورا كبيرا في حياة الفرد،فعند شعوره بعدم التفاعل و الانسجام مع الآخرين و أن ذاك المجتمع لا يناسبه ولا يشكل أي روابط بينهم،لينتج عن ذلك آثار سلبية تمثلت في انعدام الحب و الود و الرحمة،مما ينتج رفضا تاما من قبل المجتمع الذي يعيش فيه.و قد "تتشكل بعض مظاهر الاغتراب بفعل عوامل داخلية تفرزها قيم المجتمع، أهمها الفقر،إذ يقول الإمام علي رضي الله عنه{الفقر في الوطن غربة} و كان الفقر في طليعة المشاكل"[4].

[1] الرواية،ص103.

[2] سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_ ،ص151.

[3] جديدي زليخة :{الاغتراب }،ص349.

[4] أحمد علي الفلاحي :الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية) ،ص53.

ينتج الاغتراب الاجتماعي عن عوامل داخلية يفرزها المجتمع،من خلال العادات و التقاليد،فيحس الفرد أنه مغترب عنه و لا ينسجم معه بأي شكل من الأشكال.و في رواية "حتى العصافير هاجرت" تضمنت مقاطع عدة تتطرقت فيها الروائية "هاجر ميموني " إلى الاغتراب الاجتماعي من خلال سرد مختلف القصص و المشاكل في ذلك المجتمع...و الاغتراب عن المجتمع يعني "شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع،كالشعور بالانفصال عن الآخرين أو القيم أو الأعراف و العادات السائدة في المجتمع أو عن السلطة الحاكمة،فينتج عن ذلك إحساس بالألم و الحسرة أو التشاؤم و اليأس،و بالتالي ينتج عن ذلك أحيانا سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة"[1].

عندما يشعر الفرد بالاغتراب عن المجتمع ف"يخرج الوحش من أعماقنا تتعطل مع خروجه لغة العقل، وتتعطل معه أحلامنا و أفراحنا،فخروجه يحطم جميع الروابط فهو لا يعترف بالروابط المجتمعية،و يتنصل من جميع روافد الأمة التي جمعتها و تعايشت معها جنبا إلى جنب في تفاعل مجتمعي/.../ ليسود التشكيك في روافد المجتمع،و كم يكون صعبا بعد ذلك إعادة صياغتها أو بناؤها من جديد"[2]...تقريبا شبه الاغتراب الاجتماعي بالوحش الذي يسيطر على نفسية الفرد و يجعله في متاهة،تتعطل فيها الأحلام و الأفراح،و يحطم جميع الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع،فهو فرد ينسحب و ينفصل عن مجتمعه و يفقد الاحساس بالفرح و الانسجام . من أصعب صور الاغتراب الاجتماعي التي صورتها الروائية في عند تقرير عائلة رحمة الرحيل إلى مكان غير معروف.."إنه الهروب،الهروب إلى الجحيم،و الواقع الأليم الذي حل بين أهل البلد الذين خرجوا من رحم واحد،و جمعتهم شمائل الحب"[3]...من الصعب على الفرد،الانفصال عن مجتمعه،و أصعب ما صورت لنا الروائية هو اغتراب أهل القرية الواحدة،و المجتمع الذي ولد من رحم واحد،أصبح لا يساعده البقاء مع بعض،فكل واحد منهم على حدى يبحث عن مأوى في وجهة غير محددة الجغرافيا و المعالم.

للأسف الجميع يرفض الواقع،أفراد المجتمع من الرضيع إلى الشيخ الكبير يعانون الاغتراب الاجتماعي،نكاد أن نقول جميعهم، فكانت جموع وأمواج بشرية، متشكلة من جميع الأطياف فيها رضع،أطفال،نساء،شباب،كهول شيوخ و عجائز،جميعهم تضامنوا في رحلتهم الشاقة على رفض واقعهم"[4]..يعتبر الاغتراب ظاهرة إنسانية لاقت

[1] لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،ص93.
[2] الرواية،ص190.
[3] الرواية،ص199.
[4] الرواية،ص225.

اهتماما كبيرا من العلماء و الباحثين النفسيين و الاجتماعيين خاصة،حيث أصبح هذا المصطلح يحتل مكانة هامة في العصر الحديث و الحالي.و رواية "حتى العصافير هاجرت" حملت بين طياتها الاغتراب الاجتماعي الذي شكل هاجسا كبيرا و واضحا في شخصيات الرواية من جميع أطيافها،فهم رافضون لواقعهم و مجتمعهم بعد ما سادت فيه المشاكل،و صعبت الحياة و أصبحت لا تطاق.

بالعودة إلى الماضي و الشعور بالحاضر لقول الروائية"توجد في ماضينا و حاضرنا الأشياء الجميلة و الحلوة والأشياء السيئة و القبيحة أيضا،و ما أقبح تلك الأشياء السيئة خاصة حينما نكون نحن من أوجدها بيننا،لتعود وتطاردنا ذكراها الأليمة وتنغص علينا حياتنا وتنغص علينا حتى لذة الحلم و التذكر"[1]...القوانين السيئة التي يضعها أحيانا أفراد المجتمع لتسيير الحياة في تلك المنطقة،تؤدي دائما إلى الاغتراب من طرف رافضيها.

من أهم أسباب الاغتراب الاجتماعي في رواية "حتى العصافير هاجرت"المشاكل التي تنشأ بين أفراد المجتمع و يتبين هذا من خلال هذا المقطع"لم تكن خلافات أهل القرية كبيرة أو معقدة،إنما كانت حينما يتعارك صغارهم،أو تقوم مواشي بعض بإفساد أشجار أو محاصيل بعضهم،حينما يغفلون عن رعيها أو تتحرر من قيودها، و الخلافات التي تكون شديدة على قلتها،كثيرا ما تتعلق برفض أحدهم مصاهر عائلة من نفس القرية أو خارجها لأسباب حقد أو ضغينة قديمين بين العائلتين"[2]...فقد أسهمت ظروف أهل القرية و التشتت الأسري في فقدان القيم الاجتماعية،وهذا ما أثر في اغتراب الشخصية عن مجتمعها و تأثرها السلبي بالعادات والتقاليد السائدة المنبوذة في المجتمع حينذاك.

فالاغتراب الاجتماعي تنعكس شدته حسب التفاعل أو التكانل الاجتماعي،و القيم و العادات و التقاليد وأخلاق الأفراد و الارتباط أو العزلة الاجتماعية بينهم، فإن "ذلك ما يعانيه الناس في حياتهم حينما يلتقون أو يتصاهرون أو يتعاشرون مع أناس قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشد منها قسوة،سواء لنت لهم أو أحسنت أو مددت إليهم من سبل التآخي و المودة بالكثير لن تنال رضاهم،أفكارهم حبيسة أشياء يبتدعوها أو عادات أو معتقدات سواء كانت جميلة أو نقيض ذلك"[3]...

[1] الرواية،ص46.
[2] الرواية،ص49_50.
[3] الرواية،ص57_58.

تعرف الأسباب الاجتماعية عادة بأنها من الأسباب الأكثر شيوعا التي تؤدي إلى حالة الاغتراب الاجتماعي و الانقطاع عن الناس أو عن البيئة تماما. الاغتراب الاجتماعي هو تعبير عن عجز الفرد على التواصل إجتماعيا مع أفراد مجتمعه ومع عادات وتقاليد التقافة التي يعيش فيها،فيكون هنا متخذا قرار العزلة عن الآخرين لأنه فاقد للقدرة على إدراك الحياة بصورة موضوعية توافق ميوله واتجاهاته في هذه الحياة.ففي رواية "حتى العصافير هاجرت "العادات والقيم التقليدية تكاد تنصهر و تشتت شمل أفراد العائلة "عاداتنا،عاداتنا تكاد تشتتنا،لكن لا نخجل منها،لا نخجل منها و يمضي يقول:هناك بشر من العالم لهم عادات أقبح و أبشع من عاداتنا،حتى إنهم يحرقون موتاهم و نحن نكرمهم بالدفن"[1]...

هناك من يعجز عن التكيف و الانسجام حتى،مع القيم التقليدية و العادات السائدة في قرية"وادي الرمان" أدى ذلك إلى اغتراب العديد من الأفراد،و ذلك راجع لرفضهم القطعي لتلك العادات.

عندما يصبح المجتمع مليء بالمشاكل و "الهرج و المرج و الدمار بوسائل العصر الفتاكة التي لا تبقى و لا تذر عندما تحط بحممها و شهبها و شظاياها، لم يجد القوم غسالين لموتاهم لكثرتهم،و لم تمارس تلك الطقوس التي تعارفوا عليها و أصبحت من ثقافتهم عندما يفقد عزيز و يرحل في حادث مؤلم أو إثر مرض عضال..."[2]...فينتج عن هذا إغتراب اجتماعي نتيجة كثرة الأزمات و الصعاب التي واجهت أصحاب قرية "وادي الرمان".

القمع الاجتماعي و تموين الأنا الأعلى:"إن التحليل النفسي يؤكد المقولة الماركسية بأن الواقع و الوجود هو الذي يحدد الوعي، و يؤول الصراع بين الأنا و العالم الخارجي إلى صراع داخلي حيث يبدأ بالتكوين تحت تأثير العالم الخارجي و عنصر معيق في الجهاز النفسي و هو الأنا الأعلى، و ما كان في الأصل خوفا من العقاب يصبح ردعا أخلاقيا .و إذا كان الصراع الداخلي و الخارجي يحدد التطور النفسي بصورة عامة.فإن الواقع الاجتماعي يملأ كلا من الأهداف و المعايير و المواقع الأخلاقية بتطوراتها و محتوياتها العصرية"[3].

يؤثر العالم الخارجي تأثيرا بليغا في نفسية الانسان و يولد فيه شعورا داخليا يتمثل الصراع بين الأنا و العالم الخارجي إلى صراع داخلي.

ومشاكل المجتمع المحيط بالفرد أو الشخصية الروائية في الرواية انعكست سلبا على شخصيات الرواية

[1] الرواية،ص69.

[2] الرواية،ص197.

[3] تالي جمال :{مظاهر الاغتراب قراءة في المفهوم و الأبعاد}،مجلة آفاق للعلوم،ع5، 2016،الجلفة،الجزائر،ص293.

وخاصة "رحمة" بطلة الرواية.فأدت هذه المشاكل الاجتماعية إلى التفكك الأسري و تفكك العائلات الكبيرة أيضا.فلم يكن لها"ضلع في صنع و خروج الوحش !فما أصعب عليها تقبل شقاء لم تضع أسبابه أو تشارك في صنعها، إلا أنها تتقبل بإصرار كبير انتماءها العربي الكبير بكل أوجاعه و آلامه الكثيرة ليكون لها بهذا الانتماء عزاءا عن مأساتها و مأساة مثيلاتها الكثيرات !"[1]

المعاناة من الضغوط النفسية و الاجتماعية قد تؤدي بالانسان إلى الشعور بعدم الانتماء و الموافقة.و يفقد ثقته أيضا بمن حوله كما يشعر بالإحساس بالقلق و العدوان،و رفض القيم و المعايير الاجتماعية، و الاغتراب عن الحياة الأسرية.حتى لو كلن جميع أفرادها معا.إلا أن الاغتراب يمكن أن يكون نفسيا داخليا أو ذاتيا.

فالاغتراب ظاهرة إنسانية يعاني منها العالم لأنه يصنف دائما ضمن العادات السلبية و السيئة .و في الرواية نجد "رحمة" وأمثالها عانوا من هذا الوحش الشرير، لنجد هذه البطلة تؤجل"جميع أحلامها لأن الوحش خرج من قوقعته و تعدى حدود عرينه ! أجلتها لأن شره خرج معه و جاء بالشقاء لها و لأمثالها !و ملامح و مؤشرات عودته إلى عرينهلم يبرز منها أي ملمح أو مؤشر و مازات بعيدة !فقد أريد لها ذلك من أعداء الانسانية و الحب ؟ !" [2]...ظاهرة الاغتراب ذات ملامح و مظاهر متعددة و مختلفة لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات الانسانية في العالم فالاغتراب الاجتماعي جعل منهم أفرادا غير فاعلين و غير ناشطين في المجتمع قلقين من مستقبلهم و ذلك سبب الفتنة الشنيعة التي حلت بهم .التي هي بذاتها تعتبر السبب الرئيسي في الاغتراب الاجتماعي لدى جميع شخصيات الرواية.

في ظل التناقضات و المشاكل التي يحفل بها المجتمع فإن الفرد و المجتمع نجدهم لا يتوافقان في العديد من الأشياء و الأمور منها العامة و الشخصية أيضا، فالمجتمع و الفرد إذا يمثلان طرفي صراع.و هذا الصراع فاضح لأسباب عدة منها الحرية، الخضوع،التمرد و الحرب.

و نلاحظ في رواية "حتى العصافير هاجرت" أن رحمة مغتربة إجتماعيا و هي في بحث دائم للخروج من السائد في المجتمع من مشاكل و معوقات تعيق حركتها و دراستها، كذلك حريتها أيضا و يتم ذلك من خلال مغادرتها له.

[1] الرواية،ص19.
[2] الرواية،ص19.

والبحث عن سبيل آخر يتيح لها فرصة جميلة لإكمال مشوارها الدراسي و عامها الأخير من دراسة الطب لتنال الشهادة التي طالما حلمت و تمنت أن تنالها بنجاح و تفوق، فقد أسهمت ظروف الواقع الاجتماعي و التشتت العائلي و الأسري. في تطور الأزمة الاجتماعية و فقدان القيم العظيمة التي تحكم و تنظم ذلك المجتمع. ف"قد تدخلت الأقدار بأحداث بسيطة جدا ثم تتطور إلى خلافات، و لما لا تجد العقلاء للصلح تتحول إلى أحقاد تكون أحيانا حادة، و يتفرق معها شمل الأسرة و لما تتفرق تضعف، و تضعف معها القيم الأخلاقية التي تسير حياتها المدينة، و قد تمتد خلافاتها و أحقادها إلى الأصهار و الأقارب و الجيران و الأصدقاء، و تصل إلى القطيعة"[1]...من شيء بسيط ينمو و يكبر و يترعرع وسط أشخاص غير عقلاء و لا يستخدمون الحكمة في هذه المواقف لحل المشاكل المطروحة،حتى يصبح هذا الشيء وحشا كبيرا يؤدي إلى القطيعة و التفرق الاجتماعي ثم بعد ذلك الاغتراب الاجتماعي الذي يتخذه البعض حلا مناسبا للهروب من المشاكل بحثا عن راحة البال.

نستنتج إذن أن ظاهرة الاغتراب الاجتماعي تفسر حالة صعبة متكونة من عدة أشياء و أحداث.نذكر أهمها مجموع الاضطرابات التي تطرأ على المجتمع، كذلك القلق و اليأس لهما أيضا دورا فعالا في إحداث هذه الظاهرة، لا ننسى أيضا الاحساس بالعجز و عدم القدرة على التواصل مع الأفراد مما يصطدم ذلك تلقائيا مع ذات المغترب و يحدث خللا متمثلا في الانفصال الذاتي الذي يكاد أن لا يخلو أي نوع من الاغتراب و إلا نجده يتصدر الأسباب المؤدية إليه.

إذن لاحظنا أن معظم أو جل شخصيات الرواية عانوا من هذه الظاهرة السلبية.نذكر منهم "هدى"بنت عم "رحمة"، نهاد والدة رحمة،الحاج صلاح الدين جد رحمة، وأخيرا خالد والد بطلة الرواية.
فأضعفت رابط الشخصية البطلة بل و عملت على تدمير العائلة الكبيرة و الصغيرة أيضا و ساهمت في نمو أساليب و أنماط جديدة جعلت من جميع شخصيات الرواية داخل مجتمعهم الواحد، يعيشون أوضاعا اجتماعية مستقلة، و لاحظنا ذلك في داخل التركيبة الاسرية لعائلة خالد مما انتج و ساهم في نمو وتطور حالة الانفصال داخل المجتمع.

و"كما الانسان الفرد و الشعب، هكذا أصبح المجتمع نفسه عاجزا.إذ فقد الكثير من مناعته و تحكمه بوظائفه الحيوية و موارده المادية و الروحية في علاقته بالدولة التي تخضع بدورها لإرادة القوى الخارجية و العائلات

[1] الرواية،ص108.

الحاكمة، من هنا إن المجتمع يعجز عن تجاوز أوضاعه و إعادة بناء نفسه من جديد، فتتسع الفجوة و تتعمق بين واقعه الهزيل و أحلامه الضائعة، و من هنا إن الانسان في مثل هذه المجتمعات المستبدة قد يضطر إلى تقبل واقعه، و لعله يفقد الجرأة على أن تكون له أحلام و طموحات بتجاوز عجزه، تلك هي أقصى أنواع التهميش و الافتقار و تتصل بحالة الاغتراب هذه مشكلات التفكك الاجتماعي"[1].

إذن نستنتج من هذا أن المجتمع حاليا هو نفسه أصبح عاجزا و ليس الفرد و الشعب وحده من يعاني في هذه الظاهرة الشنيعة .إذ فقد الكثير من الأشياء التي كان باستطاعته السيطرة و التحكم فيها منها المعنوية و الموارد المادية أيضا...فيصبح هنا عاجزا تماما عن بناء نفسه من جديد فيدخل في كبيرة، و فجوة واسعة تضرب بين واقع هزيل و أحلام ضائعة تتمنى أن تتحقق .

أما عن الانسان فيجد نفسه أمام طريقين لا ثالث لهما، الأول :التقبل و القبول، أما الثاني :الاغتراب بأي نوع من الأنواع .

"ففي مثل هذه الأجواء نجد أن فجوات عميقة و متاهات فسيحة تفصل بين الواقع و الحلم في الحياة العربية الحديثة، و تضاف إلى الفجوة بين الواقع و الحلم في الحياة العربية الحديثة /.../، و بين الواقع الاجتماعي المتكامل و الواقع السياسي المتعاكس بين الأمة و المجتمع و الدولة و بين الدعوة و الممارسة حتى تزداد صعوبة التمييز بين الواقع و اللاواقع و بين الحلم المستحيل و الحلم الممكن، و إذا ما قيل بضرورة التمسك بالعقلانية و الواقعية "[2]

تتشكل غيمة كبيرة من خلال هذه الأجواء التي تبعث في نفسية المتلقي، و كذلك شخصيات الرواية، إحساس بالضياع بين الواقع و الأحلام، و بين الواقع الاجتماعي أيضا.

و الآن نتطرق إلى المرحلة الثانية ألا و هي الشفاء و معالجة بعض حالات الاغتراب التي واجهتها الشخصيات في رواية "حتى العصافير هاجرت":

إن الشفاء من الاغتراب بشتى أنواعه أمرا لم يعد صعبا، فشخصيات الرواية الأساسية منها و الثانوية تستطيع الخروج من هذه الأزمة، في السابق كان الأمر أكثر صعوبة و السبب راجع إلى عدم توفر الظروف المناسبة

[1] حليم بركات :الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، لبنان ،2006،ص28.
[2] حليم بركات : الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع ،ص90.

والمعلومات اللازمة لكيفية العلاج و التخلص من هذه الظاهرة الشنيعة، بينما هناك الكثير من الطرق المؤهلة للعلاج تطرقت إليها الروائية "هاجر ميموني"في رواية "حتى العصافير هاجرت" منها ما هو اجتماعي أو نفسي.

و هذا ما سوف نتطرق إليه في هذا العنصر، مع ذكر مظاهر الشفاء و التخلص من الاغتراب و المواقف المصيرية التي بإمكانها تغيير حياة المغترب.

السير في طريق الخير و الإصلاح:

قد يواجه الانسان في هذه الدنيا غربة صعبة جدا و ثقيلة على نفسيته خاصة عندما يكون مجبرا عليها، و هذا ما حصل مع بطلة الرواية "رحمة" التي غادرت أرض وطنها بالإجبار.لذلك سعت للتخلص من كل الآثار السلبية التي تحطمها و تحطم نفسيتها الهشة، لتضطر إلى السير في طريق صحيح و وضع خطة لإنقاذ حياتها من الهلاك.

و تحت هذا المبدا نجد الروائية "هاجر ميموني" تضع عنوانا في طيات صفحات الرواية"رحمة تستأنس" بداية الفرح و تحسن الأوضاع و الابتعاد نوعا ما عن الاغتراب و الشفاء منه و لو بنسبة بسيطة،خاصة من الناحية النفسية. من الطبيعي أن يجد الانسان نفسه غريبا و متفردا عن وطنه عندما يذهب إلى وطن آخر، وسط مجموعة من اللاجئين و المغتربين لكل من "محاسن الصدف ذلك اليوم أن كان من بين الشباب المهاجرين الذين هموا لمساعدتهم على الحدود، الشاب أنيس ابن تاجر الأثاث السي عبد القادر من بلد جزيرة المرجان الذي زارت عائلته بلد رحمة سنة 2010، و استضافتهم عائلتها لما تعطلت السيارة التي استأجروها، فقد كان يدرس هناك في معهد عال للتربية البدنية"[1]

يعتبر أنيس النقطة الأساسية الأولى و يد المساعدة التي تشير إلى مستقبل أجمل و أكثر راحة بالنسبة لرحمة و عائلتها، ليعتبر فرصة جيدة بالنسبة لهذا الأخير، فالشاب أنيس كعادته لا يتأخر في مساعدة الآخرين مهما كانت ملتهم، و تزداد عنده هذه الرغبة حينما يكون من أبناء العرب من يحتاج إليها، حتى هو كان يتابع الفضائيات و ما يحدث للاجئين العرب الفارين من بلدانهم جراء شر الحرب يبحثون عن أماكن آمنة"[2]...لحسن حظ رحمة و عائلتها المتكونة من نهاد و والدتها و خالد والدها، التقائهم مع أنيس الشاب الذي لا يتوقف عن

[1] الرواية،ص233.
[2] الرواية،ص233.

مساعدة أبناء العرب الذين للأسف أصابتهم مصيبة الاغتراب عن وطنهم نتيجة الضغوط و الحروب التي حلت بوطنهم.

استطاع هذا الشاب توفير الأمن و الأمان لرحمة و عائلتها من خلال وضع بيت تحت تصرفهم .و يظهر هذا من خلال هذا المقطع :"كان أنيس أول من استقبلهم، و تحدث إليهم بلغة عربية و مدهم بما كان يحمل من مؤونة"[1]..قدم هذا الشاب تصرفا حليما و وفر الأمن و الأمان لعائلة باتت منكسرة، و اهتم بانشغالاتهم من خلال تحاوره معهم بلغتهم العربية.لنلاحظ هنا أن "رحمة "قد تخلصت و لو بعض الشيء من الخوف الذي طالما عاش معها.

حصول اللاجئين على إيواء مناسب لهم أما عن عائلة البطلة فقد رافقها أنيس "إلى مدينة صغيرة و هناك تم تجميع الذين فلتوا على الحدود و أخذهم إلى مركز إيواء، بينما رحنة و والدها أخذهم الشاب أنيس إلى أقرب مركز للشرطة و قدم تعهدا بالتكفل بهم إلى أن يجدوا حلا، فوافقت مصالحها على مضض بذلك، و استلمت منه وثائقه و طلبت منه العودة معهم صبيحة الغد"[2]

إن التزاور بين الإخوان و مد يد المساعدة للمحتاج من أنبل الأخلاق المهونة لأزمة الاغتراب خاصة عنما نكون مجبرين على تحملها.

إن موضوع الاغتراب في رواية "حتى العصافير هاجرت" موضوع واسع شمل العديد من أنواع الاغتراب، حاولت من خلالها الروائية الخروج منه و الشفاء لأهله، لكن نسبة ذلك كانت ضئيلة لا كلية . لتركز بصفة خاصة على رحمة و عائلتها و معاجة حالتهم النفسية التي تم السيطرة عليها بشكل ما بعد مساعدة أنيس لهم.

أبرز مقطع روائي في هذه الرواية الذي صور حصول رحمة و عائلتها على الأمن و الأمان تجلى من خلال قول والد رحمة و هو يحدثها و والدتها نهاد"خرجنا نبحث عن الأمان و الأمن و كان الله معنا، عقبت رحمة على آلام والدها و قالت:النخوة العربية تبرز عند العرب في الشدائد دائما .رد والها:و نخوة أهلنا في بلد جزيرة "مرجان"لها ميزاتها و طابعها الخاص "[3].

[1] الرواية،ص234.
[2] الرواية،ص235.
[3] الرواية،ص236_237.

كما عرفنا سابقا الاغتراب بأنه شعور الانسان بعدم الأمن و الأمان و هنا نجد رحمة و عائلتها قد تم إيجاد مكانو لو لفترة وجيزة إلى أن يتحسن الوضع لديهم، و هذا يعني وجود حل للإستئناس من البرد و قسوة الخيم. أما عن ذهابهم إلى وطن أنيس الأصلي "كان يوم عودة أنيس إلى وطنه و ضيوفه يوم الجمعة من شهر يوليو 2015 ففي ذلك اليوم تكون رحلة مبرمجة إلى بلده، تقوم بها شركة الخطوط الجوية لبلدهم، و اختار العودة فيها حيث تنطلق في منتصف النهار"[1]...كانت هذه الرحلة عبارة عن خروج من قوقعة الاغتراب إلى أحضان البلد الأم.

شعور رحمة بأن كل ما يدور حولها ليس حقيقيا، و أن كل الأشياء مزيفة لا تتوافق مع الواقع، أصبحت ترى كل شيء حلما مزعجا قابل للانتهاء، و ذلك يعود إلى النوبات المتكررة و المتواصلة للشعور بتبدد الشخصية و اغترابها عن واقعها المعاش.

لكن سرعان ما تغير الوضع إلى الأحسن،بصفة خاصة للبطلة رحمة عندما هاجرت إلى بلد جزيرة الرمان عند أنيس.

تأخذ العائلة قسطا من الراحة و النوم فقد"نام خالد و حرمه و ابنته تلك الليلة، و كانت تعلو محياهم مسحة أمل كبيرة، رسمت عليها بسمة و كيف لا ينامون على تلك الحالة، و هم في موقع من جغرافية الكون بعيدة عن وطنهم و عن أي وطن عربي آخر"[2]..الشعور بالراحة الجسدية و النفسية لعائلة خالد خلصهم من النفسية المتعبة و زرع فيهم نوعا من الأمل لتغيير الواقع، فالتعب و الإرهاق الشديد يغير الواقع و يجعله في أبشع صورة، ليساعدهم النوم على التركيز في الغد و محاسنه.

شعور رحمة و عائلتها الألفة تجاه وطن أنيس و ارتياحهم له حيث:"كانت تلك الأمسية أمسية أنيس بمعنى الكلمة.لقد آنست عائلة رحمة أنسا كاملا أن يكون مستضيفهم عربيا من بلد جزيرة المرجان، بلد النخوة العربية حينما يستأنس الانسان ترتاح نفسيته و يستعيد تلقائيته و هذا ما حدث لعائلة خالد "[3] ...بفضل الراحة النفسية التي شعرت بها عائلة خالد ارتاحت مشارعهم و اتزنت، مما ساعد ذلك على استعادة تلقائيتهم .

[1] الرواية،ص268.
[2] الرواية،ص259.
[3] الرواية،ص258

الإحساس بالإتصال العاطفي مع أنس و عائلته الذين اهتموا بهم.و كان هناك رابط قوي يجمعهم ف"سبحان الذي قدر كل شيء و يا لمحاسن الصدف التي جمعت بين العائلتين، كنت أعرف قبل اليوم أنكم عائلة شهمة وكريمة فقد أخبرتني والدتي وأختاي عن حسن ضيافتهم ببلدكم وبيتكم "[1].. الكرم و الجود و المحبة ثلاثة أشياء تغير واقع الاغتراب لعائلة خالد، جعلهم يحسون بإحساس عاطفي زاد في قوة العاطفة و الشهامة لديهم .

السمات الشخصية لكل من الشخصيات الأساسية لهذه الرواية جعلتهم يتقبلون المواقف الصعبة و التكيف معها."

بدأت عائلة رحمة تقتنع بفكرة السفر إلى بلد أنيس فأهله طيبون و يحبونهم، و الذين هجروا إليه من أهلهم يعيشون معززين مكرمين بينهم،استقروا على السفر إلى هناك و أخبروا أنيس بذلك على أن يسافروا معه يوم رجوعه إلى وطنه"[2].

أخذ القرار الصحيح خطوة مهمة للشفاء من الاغتراب، فقد تتحسن حالة المرء بمجرد رؤيته بؤرة أمل، و هذا ما حدث مع هذه العائلة عند سفرهم هذا البلد الآمن و الزاخر بكل معاني الاحترام، و يتجلى هذا من خلال المقطع الذي يصور لحظة وصول طائرتهم و أنيس يتقدمهم، و في تلك الأثناء"اشتعلت السماء بالألعاب النارية و أصوات المفرقعات تدوي فيها،فهب الأولون في الصف و هم يعانقون أنيس و ضيوفه و يرددون عبارات متنوعة كلها ود و حب للضيوف كانت تخرج من قلوبهم بعفوية"[3]...هذا التواصل الاجتماعي و التضامن المقدم من طرف أهل هذه القرية الكرماء، كان عامل أساسي في شفاء جروح نفسية رحمة و عائلتها، و زرع في قلوبهم الفرح و الراحة.

التركيز على المهام الأساسية و السيطرة على الأشياء التي تدور من حولها :أهمها: دراستها،فنجد رحمة و عائلتها تستقر في"شقة يملكها السي قادر، و سجلت رحمة نفسها في كلية الطب مواصلة دراستها، بينما شغل

[1] الرواية،ص258.
[2] الرواية،ص268.
[3] الرواية،ص270.

والدها وظيفة سائق عند السي عبد القادر و وجدت والدتها بعض أهاليهم الذين هاجروا سابقا، يزاولون نشاطات حرفية و تجارية، فانضمت إليهم في ورشة يملكها أحدهم مختصة في الخياطة."[1]

استطاعت رحمة التركيز على مهامها الأساسية و تحقيق أحلامها من خلال تسجيلها في كلية الطب لمواصلة دراستها و نجاحها و تخرجها كطبيبة، أما عن والدها فاستطاع توفير عمل و جلب قوت عائلته و تعيش نهاد حالة نفسية مستقرة بعد تواصلها مع أحبابها و العمل معهم.

تخلصت العائلة من الاغتراب النفسي السلبي الذي حطم مشاعرهم و خذل أملهم و زرع فيهم كل معاني الخوف و الهلع، لتفرج بقدر من الله و تنظم أحوالهم.

الهدوء و الاستقرار للتخلص من سلبيات الاغتراب :الاستقرار النفسي بصفة عامة من أهم المطالب للجميع.."لما استقرت رحمة استقرت معها عواطفها هي الأخرى، و بدأت مشاعرها و أحاسيسها تميل كل الميل إلى أنيس، خاصة و هي تلتقي به في جلسات عمل لتأليف قصائد اجتماعية على الواقع العربي الأليم، يتولى أنيس ود ملاؤه تلحينها و تسجيلها أغاني الراب علها تسهم في تليين القلوب القاسية،فبادلها أنيس نفس المشاعر و حبها يكبر كل يوم في انتظار الإعلان عنه للملإ"[2]...عندما استطاعت البطلة "رحمة" الاستقرار نتج عن ذلك مشاعر إيجابية تروي روحها بالحب و الشوق و السعادة، لتتغير أوضاع نفسيها إلى كل ما هو أفضل. فالراحة النفسية هي دواء الاضطرابات النفسية و الضغوطات الحياتية و النوبات التي قد تصيبنا.

بدأ أنيس يلاحظ اختلاف نفسية أفراد عائلة رحمة و تكتسح وجههم البشاشة و السعادة و كيف عادت إليهم مسحة الأمل، فقال لهم:"سبحان الذي قدر كل شيء و يا لمحاسن الصدف التي جمعت بين العائلتين" [3] إن زرع البسمة على وجوه عائلة رحمة قلب موازين الحياة و أعطاها لونا آخر يلمع ببريق الفرح و الحب و الحيوية .

أيضا أدى التكافل بين الأصدقاء و الأحباب إلى نشر أجواء جميلة و مفرحة و تفاهم و جمع العواطف الانسانية الاجتماعية، و الخير الذي يعم المكان بعث في رحمة الاحساس بالصفاء الداخلي، لتنهض مشاعر حب لطيفة في داخل أنيس تجاه رحمة بدأت من أن نظر إلى وجهها عن قرب حينما كانت تمسح من عينيه رذاذ

[1] الرواية،ص271.
[2] الرواية،ص271.
[3] الرواية،ص258.

الليمون،"و كان يرى فيها صدقافرحمة جميلة و ذات خلق عال و تعامله معها فترة قصيرة أعطاه انطباعا جميلا"[1].أما عن رحمة فقد تحركت مشاعر الحب في قلبها اتجاه أنيس عندما" خرجوا سويا فكان أنيس يسير بجانب رحمة و والداها يسيران وراءهما، و بدأت تنهض عن رحمة مشاعر دافئة تجاه أنيس لم تتبين أطيافها بعد، أكانت مشاعر عرفان لما يقوم به أم حب !فقد وجدت نفسها أمام شاب عربي مهذب و شهم"[2]...الشعور بالعاطفة و الحب و الاحساس بالاتصال العاطفي مع أنيس جعل البطلة رحمة تعيش في حيرة و شغف كبيرين، و هذا ما ساعدها في العودة إلى حب الحياة و التعلق بها.

يذهب مختلف الباحثين و الدارسين إلى أن الخروج من الاغتراب يستدعي أولا المعالجة النفسية، فاستنتجنا في الأخير أن البطلة رحمة قد حققت نجاحا كبيرا في الشفاء من الاغتراب النفسي و ذلك من خلال هذه النقاط الأساسية:

- ✓ الوصول إلى مكان آمن للاستقرار فيه و تحقق الأمن و الأمان لها و لعائلتها.
- ✓ التسجيل في كلية الطب من أجل إكمال دراستها.
- ✓ المشاعر العاطفية تجاه أنيس ساعدتها على تحسن نفسيتها
- ✓ الاتصال الاجتماعي بعد الانفصال عن الواقع

التضامن الاجتماعي و التواصل مع الأحباب و الأصدقاء عامل أساسي في الخروج من أزمة الاغتراب.

[1] الرواية،ص267_268.

[2] الرواية،ص255.

خاتمة

لقد عملنا جاهدين في هذا البحث لمعالجة إشكالية الاغتراب في رواية "حتى العصافير هاجرت" لهاجر ميموني، وذلك بقدر ما أسعفنا المتن والمنهج الموضوعاتي على السواء،فقد توصلنا الى مجموعة من النتائج سنقف على الأهم منها في الاستنتاجات الآتية :

- تعد المقاربة الموضوعاتية من أهم المقاربات النقدية في تعاملها مع النص الأدبي شعرا ونثرا.

- ان ظهور المنهج الموضوعاتي كان مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين في أوربا مع موجة النقد الجديد،على يد مجموعة من الرواد نذكر منهم غاستون باشلار .

- استمد النقد الموضوعاتي أصوله من فلسفة ظاهراتية ووجودية تسعى إلى إلقاء الاهتمام والتركيز على تفسير العمل الأدبي في حد ذاته.

-أخذ الاغتراب مساحة واسعة من مختلف الدراسات و التعريفات من قبل أدباء و فلاسفة، ليثبت وجوده في المعاجم العربية و الغير عربية، فهو مصطلح وليد للدراسات الغربية الحديثة.

- ظهر منذ القدم من خلال الشعر العربي، انطلاقا من العصر الجاهلي إلى غاية العصر الحديث والمعاصر فتميز بما يأتي:

-الاغتراب في الجاهلية بمعنى البعد عن الوطن جسد من خلاله الشعراء الجاهليون أمثال امرؤ القيس، شعرهم للتعبير عن مدى ظلم الزمان لهم ولأهلهم، وعن وحشية الغربة .

- الاغتراب في الإسلام جاء بمعنى الاغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة، واغتراب عن النظام الاجتماعي الغير عادل.

-تميز الاغتراب في الشعر الأموي باختلاف رؤى الشعراء،منهم أبو قطيفة فاعتبروا البلاد الغريبة بلادهم وتأثروا بحضارتها لتطغى على حياتهم القيم الحضارية بتغير منحى شعرهم .

-أما في الشعر العباسي فقد تميز الاغتراب بتطور الأوضاع السياسية،واقترن مفهومه بالاغتراب عن المدينة .

-وقفنا بداية في دراسة الرواية مع البطلة "رحمة "وحالتها النفسية المتقلبة،من شعور بالوحدة واغتراب عن المجتمع والمكان والزمان ناتج عن ذلك قلق ومرض وإرهاق ونوبات ارق وتعب شديد.

- فيما يخص الاغتراب الاجتماعي،فقد كانت لنا وقفة مطولة مع شخصيات الرواية نظرا لتداخل واشتراك جميع الشخصيات في هذا النوع فنجدها،متألمة باكية صارخة تبحث عن مكان تشعر فيه بالأمن والأمان مع حيرة كبيرة وسط وطن غريب عن وطنها الأصلي .

-ارتبط الاغتراب المكاني بالوطن، وما ينتج عند الغربة عنه من اثار سلبية

-تميز الاغتراب الزماني في هذه الرواية بالنسبة للبطلة بالرجوع والهروب دوما للماضي وربط ذاكرتها به لتخلص من ا لم الواقع ولو لفترة محدودة.

-استطاع العديد من شخصيات الرواية الخروج من ظاهرة الاغتراب و إقامة ثورة مضادة بتحقيق نسبة معتبرة من خطط النجاح و الاستقرار، و بفضل ذلك عاد كل لتحقيق حلمه و إثبات وجوده سواء في مشواره الدراسي أو بممارسة المهن براحة و أمان.

وفي الأخير نخلص إلى أننا عملنا جاهدين على توضيح ظاهرة الاغتراب في هذا البحث المتواضع، منطلقين من تاريخ ظهوره في أوربا وصولا إلي العا لم العربي بداية من العصر الجاهلي إلى الحديث والمعاصر متوقفين في ذلك عند نموذج الرواية بتحليلها واستخراج أهم أنواع الاغتراب فيه وتبين مدى توفر الاغتراب وتأثيره على شخصيات الرواية، والشكر والحمد لله أولا وأستاذتنا الفاضلة ثانيا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1_المصادر:

هاجر ميموني:حتى العصافير هاجرت، ط1، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2017.

2_المراجع العربية :

ابن منظور،(أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي المصري الافريقي(1414ه):لسان العرب،ج8،دار صادر،بيروت،لبنان،1992.

أبو الطيب المتنبي :الديوان، دط، دار الجيل للنشر،بيروت.

أبو العلاء المعري:سقط الزند،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1990،1 م.

أبو الفرج الأصفهاني:الأغاني،دار الكتب،(د،ط،د،ت)،ج13.

أبو عبد الله بن أحمد الزوزني:شرح المعلقات العشر،ط1،دار الفكر،بيروت،لبنان، 2005 م.

أبو عبد الله بن أحمد الزوزني:شرح المعلقات العشر،ط2،دار الجيل للنشر و التوزيع،بيروت، لبنان،1972 م.

أحمد علي ابراهيم الفلاحي :الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري _دراسة اجتماعية نفسية _،ط1، 1434ه،2013 م.

جميل حمداوي :المقاربة النقديةالموضوعاتية،ط01،مؤسسة المثقف العربي، 2015 م.

حسن جعفر نور الدين:لبيد بن ربيعة العامري_حياته و شعره_،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1990م.

حسن حماد :الإنسان المغترب عند إيريك فروم،ط1، مكتبة دار الكلمة،القاهرة،مصر، 2015 م.

حليم بركات :الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع،ط01،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،2006م.

حميد لحميداني :سحر الموضوع،عن النقد الموضوعاتي في الرواية و الشعر،ط2،دراسات سيميائية أدبية و لسانية(دراسات سال)،فاس،المغرب، 2014 م.

زكي نجيب محمود :هذا العصر و ثقافته،ط1،دار الشروق،بيروت، 1981 م .

قائمة المصادر والمراجع

سعيد علوش:النقد الموضوعاتي، ط1.شركة بابل للطباعة و النشر و التوزيع،الرباط، 1989 م.

سعيد علوش:النقد الموضوعاتي،ط1،شركة بابل للنشر و الطباعة،الرباط،المغرب، 1989 م.

سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي_القرن الرابع هجري_دار الينابيع، ط1، دمشق،سوريا.

عبد الكريم هلال خالد :الاغتراب في الفن _دراسة في الفكر الجمالي العربي المعاصر_،منشورات جامعة قاريونس،ط1،بنغازي،1998 م.

عبد اللطيف محمد خليفة :دراسات في سيكولوجية الاغتراب،ط1،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،مصر، 2003م.

عمر أحمد مختار عبد الحميد :معجم اللغة العربية المعاصرة،،ط1د،ار عالم الكتب،القاهرة،مصر،ج2

فاطمة محمد حميد السويدي :الاغتراب في الشعر الأموي،ط1،مكتبة مدبولي،1997.

فؤاد أبو منصور :النقد البنيوي الحديث بين لبنان و أوروبا،دار الجيل،بيروت،1985م.

لزهر مساعدية :نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،دار الخلدونية للنشر و التوزيع،القبة القديمة،الجزائر.

مجد الدين محمد بن يعقوب فيروز آبادي :القاموس المحيط،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،ط8،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان، 2005 م.

محمد ابراهيم الفيومي :ابن باجة و فلسفة الاغتراب،ط1،دار الجيل،بيروت،1988م.

محمد عزام :المنهج الموضوعي في النقد الأدبي،دط،من منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق، 1999 م.

يحيى الجبوري:الحنين و الغربة في الشعر العربي_الحنين إلى الأوطان_،ط1،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع،عمان،الأردن، 2008م.

يحي الجبوري:الحنين و الغربة في الشعر العربي،دار مجدلاوي،عمان،ط2008،1م.

يوسف خليل :شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،دار المعارف،مكتبة الدراسات الأدبية، (د،ت) ط3 .

يوسف و غليسي :النقد الجزائري المعاصر من:"اللانسونية"إلى "الألسنية"،إصدار رابطة إبداع الثقافة،2002 م.

3_المراجع المترجمة:

إليزابيث غافو غالو:مناهج النقد الأدبي،تر:يونس لشهب،ط1،عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع،الأردن، 2013 م.

ريتشارد شاخت :الاغتراب،تر:كامل يوسف حسين،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط1،بيروت، لبنان، 1980 م.

غاستون باشلار :جماليات المكان،تر:غالب هلسا،ط2،،مج المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت 1984م .

غاستون باشلار:النار في التحليل النفسي،تر:نهاد خياطة،ط1،،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، 1984 م.

غاستون باشلار:شاعرية أحلام اليقظة،تر:جورج سعد،ط1،مج المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت، 1991م.

4_المجلات:

أسماء ربحي العرب،علاء زهير عبد الجواد الرواشدة:{الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب الأردني في عصر العولمة}،المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية،مج 9، ع2، 2016،الأردن.

إيمان العامري:{اغتراب الزمن و انشطار الذات قراءة في رواية نجوم أريحا لليانة بدر}،مجلة المخبر، ع11، 2015،جامعة بسكرة،الجزائر.

تالي جمال :{مظاهر الاغتراب قراءة في المفهوم و الأبعاد}،مجلة آفاق للعلوم، ع5، 2016،الجلفة،الجزائر.

جديدي زليخة :{الاغتراب}،مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، ع8 جوان.2012،جامعة وادي سوف الجزائر.

جميرن ميهوب :{المنهج الموضوعاتي...بين النظرية و التطبيق}،مجلة الباحث، ع12أفريل 2013م،جامعة الأغواط،الجزائر.

رضوان جنيدي:{النقد الموضوعاتي(الأسس و الإجراءات)}،مجلة آفاق علمية، ع04، 2019م،المركز الجامعي لتامنغست،الجزائر.

سمية بن عمارة،منصور بن زاهي:{الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنيت _دراسة ميدانية لعينة من الشباب بمقاهي الانترنيت}،مجلة دراسات نفسية و تربوية، ع10جوان 2013،ورقلة،الجزائر.

علاء عبد المنعم إبراهيم :{شعرية الاغتراب في رواية "بروكلين هايتس"لميرال الطحاوي }،التواصل الاجتماعي، ع12،ديسمبر2018،جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر.

علاء عبد المنعم إبراهيم:{شعرية الاغتراب في رواية بروكلين هايتس لميرال الطحاوي}،مجلة التواصل الأدبي، ع12،ديسمبر2018،جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر.

فايزة طالب :{الاغتراب الروائي في الرواية الجزائرية المعاصرة ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي أنموذجا}،مجلة المفكر،مج04. ع01،جوان 2020،جامعة البليدة 2 علي بوليسي،البليدة،الجزائر.

قيس النوري،الاغتراب_اصطلاحا و مفهوما واقعا،مجلة عالم الفكر،عدد1، 1979.

كريم أميري:{الاغتراب المكاني لدى المثقف في روايات سعد محمد رحيم بعد 2003م}،مجلة آفاق الحضارة العربية، ع1، 144هـ،أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية.

مريم جبر فريحات :{الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كتفاني}،مجلة جامعة دمشق،مج26، ع03و04، 2010م،دمشق،سوريا.

منيرة شرقي:{النقد الموضوعاتي}،مجلة الآداب،العدد1،ديسمبر2019، جامعة العربي التبسي،تبسة الجزائر.

هنية مشقوق :{تجليات الحس الاغترابي في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح }،مجلة المخبر، ع7، 2014م،جامعة بسكرة،الجزائر.

5_الرسائل الجامعية:

آمال عبد المنعم الحراريس:ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية و الإسلام،أطروحة دكتوراه،إشراف أحمد الزعبي، كلية الدراسات العليا، 2016 م.

بلعابد عبد القادر:الاتجاه نحو العنق و علاقته بالاغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة و الجنس،أطروحة دكتوراه،تخصص علم النفس،إشراف:ماحي إبراهيم،كلية العلوم الاجتماعية،وهران،الجزائر، 2013 م_2014 م.

حياة بوعافية :الاغتراب في شعر أبي علاء المعري_دراسة موضوعاتية فنية_رسالة ماجستير،تخصص لغة عربية، إشراف: مصطفى البشير قط، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية،المسيلة، الجزائر،2008_2009م.

سماح بن خروف:الاغتراب في رواية كراف الخطاب_لعبد الله عيسى_،مذكرة ماجستير،تخصص أدب عربي حديث و معاصر،إشراف محمد زرمان،جامعة الحاج لخضر،باتنة،الجزائر،2011م_2012 م.

عائشة حمادي و إيمان زوقاغ :رواية"وطن من زجاج"ل"ياسمينة صالح"،دراسة موضوعاتية،من منظور جان بيير ريشار،مذكرة ماستر،دراسات أدبية،محمد بوتالي،أكلي محند أو لحاج،البويرة،الجزائر،2016م،2017م.

عبدو نبيلة،حابي جميلة :الاغتراب في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب_أنموذجا_،رسالة ليسانس،إشراف:بوعلام العوفي،كلية الآداب و اللغات،البويرة،الجزائر

فطيمة صيد :الاغتراب في رواية "انكسار"ل محمد مفلاح،مذكرة ماستر،تخصص أدب حديث و معاصر،إشراف عبد القادر رحيم،جامعة محمد خيضر،بسكرة،الجزائر،2014م_2015م.

كيلاس محمد عزيز العسكري:الاغتراب في شعر الشاعرين محمود درويش و شيركو بيكه س_دراسة تحليلية فنية_،رسالة ماجستير،إشراف :د.داود سلوم،جامعة بغداد،2005م.

لعريبي نجيبة :الكتابة الدرامية في نتاجات المسرح الوطني الجزائري،محي الدين بشطارزي(2000_2012)_دراسة موضوعاتية_،شهادة ماجستير،قسم الفنون الدرامية،أنوال طامر،2014/2013م.

منصور بن زاهي :الشعور بالاغتراب الوظيفي و علاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات _دراسة ميدانية بشركة سونطراك بالجنوب الجزائري_،تخصص علم النفس و تسيير الموارد البشرية،إشراف الهاشمي لوكيا،جامعة منتوري_قسنطينة_،قسنطينة،الجزائر،2006م _2007م.

مها روحي ابراهيم الخليلي :الحنين و الغربة في الشعر الأندلسي"عصر سيادة غرناطة:635_897هـ"،رسالة ماجستير،إشراف وائل أبو صالح،كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية،نابلس،فلسطين،2007م.

هني كريمة :شخصيات كاتب ياسين بين الانتماء و الاغتراب مسرحية "الحيثة المطوقة"أنموذجا،رسالة ماجستير،تخصص الفنون الدرامية،إشراف ميراث العيد،جامعة السانيا،وهران،الجزائر،2011م_2012م.

يحياوي صفاء :الثعور بالاغتراب عن الذات و عن المحيط الاجتماعي عند الكفيف_دراسة عيادية لست حالات_،رسالة ماجستير،تخصص دراسة الجماعات و المؤسسات،إشراف منصوري عبد الحق،جامعة وهران،الجزائر،2010م_2011م.

6_المواقع الالكترونية :

سعيد بوخليط:النقد الأدبي الموضوعاتي، www.thakafamag.com.

محمد عزام :النقد الموضوعاتي،www.startimes.com.

ميساء نبيل عبد الحميد:الغربة و الاغتراب في روايات{غائب طعمة فرمان}{ملف5}، www.alnaked_aliraq.net.

مصطفى عطية :إشكالية الاغتراب في الأدب العربي المعاصر، https://gate.ahram.org.eg.news.

لطيفة الأعكل :نزعة الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، https://manber.ch.

وعد العسكري:الغربة و الحنين عند السياب،https://moharmedrabeea.net.

عدلي الهواري :ملامح النأي و الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، https://www.oudnad.net.

الملاحق

التعريف بالروائية

هاجر ميموني من ولاية بومرداس تحصلت على بكالوريا شعبة علوم تجريبية سنة 2010، ثم أكملت دراستها الجامعية في المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة في الجزائر العاصمة تخرجت منها سنة 2015 كأستاذة تعليم متوسط في مادة اللغة العربية

صدرت لها عدة أعمال نذكر منها:

رواية" في ضلال الأحلام الجميلة" سنة 2016

رواية "حتى العصافير هاجرت" سنة 2018

بالإضافة إلى عدة مقالات منها:

عندما تجلد الإنسانية .

وخرست مزامير الطبعين والمقايضين.

ملخص رواية حتى العصافير هاجرت لهاجر ميموني :

تسرد لنا رواية "حتى العصافير هاجرت" لهاجر ميموني قصة شابة تدعى

" رحمة " هي بطلة الرواية ذات الخامسة والعشرون ربيعا تربت وترعرعت في قرية وادي الرمان بريف جميل يحمل أهله جل الصفات الطيبة من جود وكرم وحسن التربية والأخلاق.

كبرت بطلة الرواية وترعرعت في جو عائلي كبير وسط أحضان والدها "خالد" ووالدتها "نهاد "وأخيها "سميح" وجدها " صلاح الدين" كانت تعيش حياة سعيدة وهنيئة مليئة بالحب والأمل،حيث أتمت دراستها وصولا إلى

عامها الأخير عام التخرج ونيل شهادة الطب المتخصصة في طب القلب، فجأة انقلبت موازين الحياة دون سابق إنذار فقدت السيطرة على نظام حياتها بإصابة أخيها "سميح" بقذيفة مجهولة المصدر فحل الحرب والدمار والخراب ببلد كان يشعر أهله بالأمن والأمان كانت المسكينة تهوى الفنون الأدبية الجميلة الراقية من رواية وشعر ومسرح .

رحلت "رحمة" وأهلها القرية فهاجروا هجرة غير مقرر لها من قبل ذلك جراء الانفجارات والفتن والدمار والحرب الى مخيم قاسي في شتاء بارد وسط خيمة بائسة لا تحمل من الأمل شيء، كانت المسكينة تعاني من نوبات الأرق والصداع الشديد عملت "رحمة" كممرضة مساعدة لطبيب في المخيم الا أن هذا الحال لم يدم طويلا قرر والدها الخروج من المخيم بحثا عن مكان يشعر فيه هو واهلة بالأمان،وقبل هجرتهم من المخيم أرسلت رحمة رسالة إلى صديقتها "ليلى" لتخبرها برحيلها وتودعها فيها بهجرتهم إلى بلد مجاور لهم فالحسن الصدف كان باستقبالهم في حدود الدولة شاب من بين الشباب يدعى "أنيس بن عبد القادر" من جزيرة المرجان الذي قد زارت عائلته بلد رحمة سابقا وقام أهلها بحسن الضيافة لهم،تعهد أمام الشرطة بمسؤوليتهم إلى أن يجدوا حل وذلك بتوفير كل متطلباتهم من أكل ومشرب ومبيت، عند العودة بهم إلى مقر إقامته وجد "أنيس" أمه تتصل به في بريده الالكتروني، بشغف كبير عليه لانه لم يكلمها منذ يومين

عند فتح الاتصال من طرف سميح اخبرها بانشغاله باستقبال عائلة عربية لاجئة، فطلبت منه أن تتحدث معهم بتقنية الصوت والصورة عندما مشاهدة نهاد والدة رحمة أم أنيس راودها شك أنها رأتها سابقا لكن نرجس والدة أنيس تعرفت عليها مباشرة بمجرد رؤيتها لان الصورة كانت واضحة لديها قائلة إنها نهاد زوجة خالد والد رحمة، كانت تتحدث بصوت مرتفع إلى أن سمعها بناتها وعرفوا أن أخاهم يستضيف عائلة رحمة فطلبت عائلة أنيس منهم القدوم إلى بلدهم لأنه أكثر أمنا وكل من هاجر إليه يعيش هنيئا وافقت عائلة رحمة على طلبهم وسافروا إلى بلد أنيس واستقروا فيه بشقة يملكها والد أنيس وتم تسجيل رحمة في كلية الطب وأتمت عامها الأخير بتحصلها على شهادتها الذي طال صبرها عليها

وحصل خالد على عمل محترم يقتات منه هو وعائلته أما عن نهاد فتحسن وضعها بتسجيلها لتعلم الخياطة والتقائها بعدة أصدقاء لها تعرفهم من قبل.

الملاحق

غلاف الرواية :

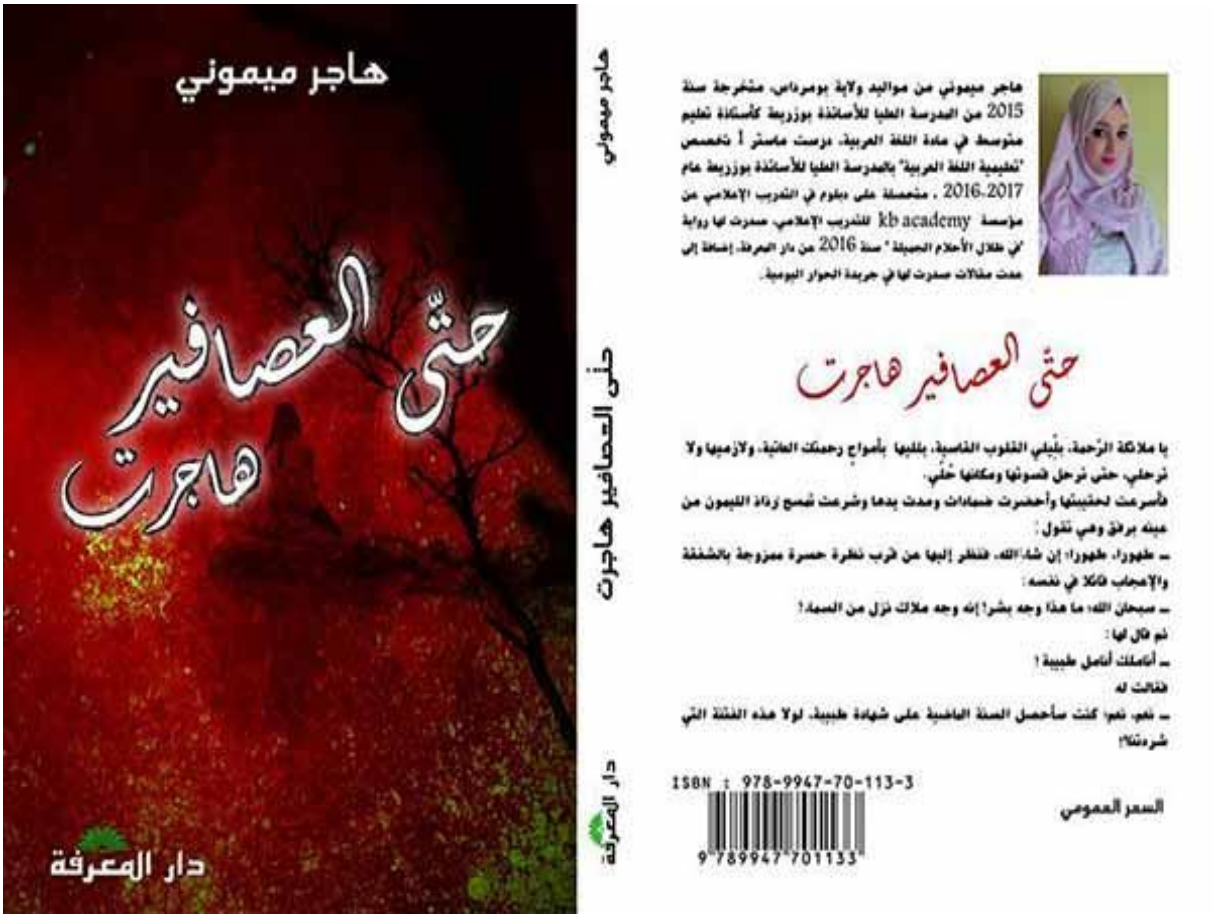

ملخص المذكرة:

تعتبر الرواية الفن الجمالي الأكثر إبداعا و تطورا، لما لها من قدرة على التعبير عن مختلف المواضيع بحرية مطلقة وترجمة للعواطف والأفكار وتوضيح لمختلف التناقضات وتبسيطها، فتعد المرآة العاكسة للآلام التي قد يعيشها الروائي.ليمثل الاغتراب أحد هذه المواضيع المعقدة التي تمكنت الرواية من فك شيفرة ما تعرض له من تناقضات واختلاف في الآراء.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على علاقة التغيرات الاجتماعية والدينية والسياسية والنفسية وغيرها بظاهرة الاغتراب. وباعتبار أن موضوع الاغتراب هو موضوع قابل للتجزؤ إلى موضوعات عديدة و مختلفة تراءى لنا الاعتماد على المنهج الموضوعاتي في دراستنا، و ذلك لأنه يغوص في دراسة المواضيع الفرعية بدقة وشفافية ويستوعبها نتيجة انتماءها إليه.

و خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

_مفهوم الاغتراب لا يقف عند البعد و النزوح عن الوطن، إنما يتعداه إلى أكثر من ذلك بحيث يتطور إلى انفصال الذات عن المجتمع و أفراده، ليشكل بذلك معاناة أكثر خطورة على نفس المغترب و وجدانه.

_الذكريات الماضية كانت جزءا لا يتجزأ من موضوع الرواية، فقد حنت البطلة وعائلتها إلى أهلهم وأقاربهم فعاشوا بين أشواق لا متناهية و تحسر متواصل على الفراق، ليتم استغلال هذه المشاعر في قهر الحاضر المؤلم ومحاولة نسيانه

_يستلزم الخروج من قوقعة الاغتراب المعالجة النفسية، و خلق علاقات اجتماعية تزرع تواصلا إيجابيا يريح النفس البشرية.

Summary :

The novel is considered the most creative and developed aesthetic art, because of its ability to express various topics absolutely freely and to translate emotions and ideas and clarify and simplify the various contradictions. It is the mirror reflecting the pain that the novelist may live. Alienation is one of these complex topics that the novel was able to decipher what He was exposed to contradictions and differences of opinion.

This study aimed to identify the relationship of social, religious, political, psychological and other changes to the phenomenon of alienation. Considering that the issue of alienation is a subject that can be divided into many different topics, we see to us relying on the thematic approach in our study, because it delves into the study of sub-topics accurately and transparently and absorbs them as a result of its affiliation to it.

This study concluded several results, the most important of which are:

_ The concept of alienation does not stop at distance and displacement from the homeland, but extends it to more than that, so that it develops into the separation of the self from society and its members, thus constituting a more dangerous suffering for the same expatriate and his conscience.

_ Past memories were an integral part of the theme of the novel, as the heroine and her family yearned for their family and relatives, so they lived between endless longings and continuous sighs of separation, so that these feelings were exploited in conquering the painful present and trying to forget it.

Getting out of the shell of alienation requires psychological treatment, and the creation of social relationships that cultivate positive communication that relaxes the human soul.

فهرس الموضوعات

الفهرس الصفحة

شكر وعرفان

مقدمة أ

مدخل:المنهج الموضوعاتي

1_ماهية المصطلح 04

أ_لغة 04

ب_اصطلاحا 05

2_تاريخ ظهور المنهج الموضوعاتي 06

3_الخلفية الفلسفية للمنهج 07

أ_الفلسفة الظاهراتية 08

ب_الفسفة الوجودية 08

4_ رواد المنهج الموضوعاتي 10

الفصل الأول: الاغتراب:تقلبات المصطلح وتشكل الماهية

أولا: مفهوم الاغتراب 16

أ_لغة 16

ب_ اصطلاحا 18

ثانيا: الاغتراب في الأدب العربي قديما وحديثا 21

أ-الاغتراب في الشعر القديم 23

ب_الاغتراب في الشعر العربي الحديث و المعاصر 23

ج_الاغتراب في النثر العربي 38

ثالثا: أبعاد الاغتراب ومظاهره. 41

الفصل الثاني: انعكاس غربة الذات على اغتراب الموضوع في رواية"حتى العصافير هاجرت":

أولا :الاغتراب في الرواية 47

1_غربة الذات وهواجس الوحدة 47

2_الاغتراب المكاني 62
3_الاغتراب الزماني 73
4_الاغتراب الاجتماعي 80
خاتمة 94
قائمة المصادر والمراجع 97
الملاحق
الفهرس